

القيم الأخلاقية والتربوية

في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة



عائشة علي الغيص



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

القيم الأخلاقية والتربوية

في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة

عائشة علي الغيص



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER

© جميع الحقوق محفوظة لدى :

الناشر: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

ص.ب 333500، دبي، الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 373 7000 (4 +971-)

البريد الإلكتروني : info@hmc.gov.ae

الموقع الشبكي : www.hmc.gov.ae

الطبعة الأولى : 2023

جميع حقوق هذا الإصدار محفوظة لدى مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ولا يجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل كان (بما في ذلك النسخ المصورة أو استخدام الوسائل الإلكترونية) من دون الموافقة المكتوبة من أصحاب حقوق النشر. وينبغي توجيه الطلبات الخاصة بالحصول على الموافقة المكتوبة لإعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلى الناشرين طبقاً لقانون حقوق النشر الدولي لعام 1956 والقانون الاتحادي رقم (7) لعام 2002 الخاص بحقوق النشر للمنشئ الأصلي والمنشئين الثانويين. وكل من يتصرف بما يخالف حقوق النشر المذكورة سيكون عرضة للمسألة القانونية والمطالبة بالأضرار الناجمة عن ذلك.

رقم الترخيص من المجلس الوطني للإعلام: MF -03-0311564

طُبع في دبي -الإمارات العربية المتحدة.

القيم الأخلاقية والتربوية

في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة المركز

يولي مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث في دبي متمثلًا في إدارة البحوث والدراسات اهتمامًا بالغًا بنشر المعرفة عبر إصدار ونشر الكتب والمؤلفات الرصينة في مختلف أوجه التراث والتاريخ الإماراتي بشكل خاص، والعربي والإسلامي بشكل عام. ويأتي هذا الاهتمام انطلاقًا من رؤية سمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم ولي عهد دبي التي تؤكد على أن التراث مصدر قوة للأمم، وهو يمثل شاهدًا على تاريخها، كما يُبرز عراقة ماضيها وأصالة تاريخها.

وتحقيقًا لهذه الرؤية الحكيمة، فإن مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث يسعى جاهدًا إلى طلب المعرفة والمعلومة وتقصيها، والوصول إليها عبر إجراء البحوث التي تستند إلى مناهج علمية معترف بها في مجال تدوين التاريخ وجمع وتوثيق التراث؛ إذ إن تراث دولة الإمارات العربية المتحدة الأصيل، الضارب بجذوره في عمق التاريخ والحضارة يزخر بالكثير، سواء على صعيد التراث المادي أو التراث الثقافي اللامادي الذي تُعدُّ الحكايات الشعبية إحدى صورته المتأصلة. وحرصًا منا على تعزيز تلك الأصالة والعمق الحضاري لهذا التراث، فإنه يسرنا أن نقدم للقارئ الكريم كتاب "القيم الأخلاقية والتربوية في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات"، الذي يرصد ويوثق القيم الأخلاقية والتربوية التي تناولتها الحكايات الشعبية في دولة الإمارات، وأثرها في تعزيز القيم لدى الطفل.

الكتاب الذي بين أيدينا يقدم صورة شاملة ومتكاملة؛ إذ تضمنت فصوله الإطار النظري وتمثّل في التعريف بمفهوم وأبعاد القيم في الحكاية الشعبية، ومفهوم الحكاية الشعبية الموجهة للطفل، ومفهوم القيم التربوية والأخلاقية وصلتها بالحكاية الشعبية.

أما الجانب التطبيقي، فتناول منظومة القيم الإنسانية والأخلاقية، والقيم الجمالية والوقائية والتوجيهية، والقيم المستمدة من العرف في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات من خلال استعراض مجموعة من تلك الحكايات وتحليل القيم التي تضمنتها.

يُعدّ كتاب "القيم الأخلاقية والتربوية في حكاية الطفل الشعبية في دولة الإمارات" إثراءً مهمًا للمكتبة الأدبية في دولة الإمارات.

إدارة البحوث والدراسات

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

البقرة

للحكايات الشعبية الموجهة للطفل دور مهم في ترسيخ مبادئ القيم المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، كبارَه وصغاره، شبيهه وشبابه، رجاله ونسائه؛ فالحكاية الموروثة بمثابة قناة تواصل جيلي، تعبّر بالأطفال الصغار عبر الأزمنة، وتنقل إليهم بذور الصلة بـماضي آبائهم وأجدادهم، من خلال طابعها القصصي، وعوالمها التخيلية العجيبة، وأحداثها الواقعية الممزوجة بـملاحـ البيئة الثقافية والاجتماعية، يكتشف الطفل من خلالها عالم الكبار بطريقة متدرجة، ويفتح عينيه على الحياة ومعانيها وقيمها وما فيها من تنوع واختلاف، ويدرك أن المعنى الإنساني رحب جداً، يشمل القيم المشتركة الآتية من بيئته، والمعايير الأخلاقية المشتركة بين الناس جميعاً، وهي ما ينبغي أن يتعلمه وهو يستمع إلى تلك الحكايات الشعبية.

ومن هنا نفهم أن للحكايات الشعبية وظيفة أساسية تتجاوز الرغبة في التشويق، وإثارة الخيال واستفزاز التفكير، واستثارة المشاعر لدى الأطفال، فهي تعقد الصلة بين الأجيال، وتأخذ بأيدي الأحداث الذين يكتشفون الحياة بأعين بريئة حاملة متفائلة، فتُدخلهم عالمها، وهو عالم "حلم" يمازج عالمًا من "القيم"؛ أي إن الطفل وهو يكتشف النسيج القصصي ويستمتع بترابط الأحداث يتعلم مبادئ الحياة الأولى التي سيكون لها تأثير كبير في شخصيته واختياراته وعلاقاته، وهو ما يشكل القيم الاجتماعية والتربوية المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد⁽¹⁾.

وإنّ لحظات نقل الحكايات الشعبية من الكبار إلى الصغار لحظات ودّ واجتماع وقرب؛ تلمس فيها الحكاية شغاف القلب ومكامن الروح والعقل، فهي معبأة بمؤثرات

(1) كمال الدين، حسين: فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية للنشر، 1999.

وجدانية ومعرفية، فيتم في تلك السماعات تدفق المعاني الجميلة في مظانّ الوقائع والأحداث والشخصيات، فتجد القاص يوجه العقول الصغيرة إلى فوائد معينة وقيم محددة يريد أن يشد الأطفال إليها، فإذا بهم يتعلمون في مساحة من المتعة، ويتأدّبون وهم يتعاطفون مع شخصية من شخصيات الحكاية، وهي لحظة عنوانها الأساسي: عالم الحكاية الذي يُعلّم القيم والأخلاق⁽¹⁾.

ووجهة هذه الدراسة مساءلة الحكاية الشعبية الإماراتية الموجهة للطفل، عن رصيدها القيمي والأخلاقي.

ومن خلال الاطلاع العلمي الدقيق على محتوى تلك الحكايات في البيئة الإماراتية، وتصنيف القيم الإنسانية في الحكاية الشعبية في بُعديها التربوي والأخلاقي، ثم استدعاء الأمثلة من الحكايات الشعبية الإماراتية المختلفة دليلاً عليها وشاهدًا يوثقها، تكون النتيجة هي إيلاء "القيمة" الأهمية الأولى؛ لتسهيل الانتفاع بنتائج الدراسة لدى المهتمين بمسائل التربية والتعليم وتجديد وسائلها.

ويتضمن الكتاب في نهايته تبيينًا لأهم الاستنتاجات المستمدة من الدراسة في خاتمته، وملاحق توثق الحكايات المدروسة في آخره؛ حتى يسهل على القارئ الرجوع إليها، وهي قد كانت في لهجة محلية شفاهية، فتم تهذيب لغتها لتكون فصيحة، فيتيسّر على القارئ العربي فهمها، وتتبع تفاصيلها، وتم ذلك بجهد شخصي في بعضها، وبجهد من نشرها من الكُتّاب الإماراتيين في بعضها الآخر، وكان لهؤلاء الناشرين فضل في تقريب معانيها وتسهيل اعتمادها في الدراسات العلمية الأكاديمية المعاصرة، ونسعى إلى استكمال هذا الجهد من جانبنا، وهو جهد باحثة تربّت على الحكاية الشعبية، وكتبت القصة الموجهة للطفل، ومارست

(1) أبو فنة، محمود: القيم في قصص الطفل المحلي، مجلة رؤى للدراسات الأدبية، فلسطين، 2004.

هذا الشغف بالأدب الطفولي حيثًا من الدهر قبل أن تركز في هذه المرحلة على البحث العميق في مظانّ الحكاية ورصيديها القيمي والأخلاقي⁽¹⁾.

⁽¹⁾ تمثل عملي التوثيقي في مرحلتين أساسيتين: مرحلة الجمع الميداني، وما تقتضي معايير تصنيفية وشروط موضوعية في هذا العمل، ثم انتقيت ما يلائم منها هذه الدراسة. طبقتها على الرواية (منها معيار السن، مظنة أن التأثير بالقصص المروية بالمكتوبة، ومراعاة النوعيات المختلفة منها (خيالية وواقعية)، وشمولها جميع تراب الإمارات، ومن ثم انتقاء الأصح منها شيوعًا، ثم "تفصيلها"، وكذلك اعتماد ما نشر فصيحًا منها.

الفصل الأول

القيم في الحكاية الشعبية
مفاهيم وأبعاد

التمهيد

تشغل الحكاية الشعبية باعتبارها فنًا شعبيًا، مساحة واسعة في الذاكرة الجماعية لدى شعوب العالم منذ القَدَم؛ ولهذا تُعد من أهم الظواهر الثقافية والاجتماعية والفنية التي تحمل وقائع ومجريات حياة الفرد والحياة الإنسانية بشكل عام، وتعبّر عن انشغالاتها وآمالها وأحلامها، كما أنها تصوّر الواقع برغم ما تتلون به من مسحة الخيال، وما تنهله من تشكلات الذاكرة الجماعية، وتتميز "الحكاية" بإمكانيات الكشف عن البنية النفسية المجتمعية المخبأة في تفاصيلها، وكذلك المشاعر والمواقف المصوّرة لقيم المجتمع وثقافته⁽¹⁾. ولهذا الغرض تداولتها مختلف شعوب العالم، وتوارثتها أجيال بعد أجيال، وتناقلتها مشافهةً عن طريق رواة محترفين وغير محترفين؛ ما سهل ترحالها عبر الزمان والمكان، وتناولها في هذه الدراسة من جانب تمثيلها للقيم الأخلاقية والإنسانية، وما تنطوي عليه من غايات تربوية.

يزخر الأدب الشعبي الإماراتي بالعديد من الحكايات الشعبية التي تتجلى فيها تجارب الأجداد وحياتهم في واقعهم اليومي، ومشاكلهم وعلاقاتهم... فما من شك أنه أدب قريب جدًا من طبيعة الحياة ومن خلجات هذا الشعب التربوية والنفسية وما يتسمك به في مستوى القيم وآداب السلوك؛ لأنها تصوّر نبض الحياة العميق كما يراها الإماراتي، متلونًا ببيئة الإمارات وتقاليد شعبها العريقة.

(1) القادري، بوتشيش إبراهيم: «النكتة كمصدر للكتابة التاريخية»، في مؤتمر المؤرخ العربي بالدوحة، حوار أجرته معه أنفاس بريس،

الخميس 11 مايو 2011.

وهذه الحكايات الموروثة تصوّر جوانب الحياة المختلفة؛ الواقعية وحتى المتخيلة أو الحالمة منها، وقد لا تكتفي بطرح القضايا الواقعية والمشكلات اليومية على سبيل العرض، بل تسعى لإيجاد حلول لها، ووسيلتها في ذلك شخصيات افتراضية قريبة من الواقع، تتسم بالحكمة والذكاء والقدرة على تمثيل الرصيد الأخلاقي والقيمي للمجتمع؛ لذلك كانت الحكاية الشعبية سجلاً حياً دَوَّن فيه الإنسان الإماراتي مختلف مراحل تطوره، وآماله وطموحاته ومخاوفه عبر الزمن، فجعلها وعاءً يحفظ فيه جُلَّ اهتماماته، ويصب في قالبها السردية خلاصة تجاربه، وهو في ذلك مشابه لغيره من الشعوب، فجميعها تفخر بهذا الرصيد (الحكائي) وترعاه من خلال الدراسة والتوثيق والرواية؛ ولذلك لا يمكن تصور تاريخ بشري خال من الحكايات، كما أن دور القصاصين الشعبيين في إشاعتها وترسيخها ونقلها لا يوازي قيمة أدوار الآباء أنفسهم؛ ولذلك يكونون أكثر حرصاً على تهذيب ما يسمعه أبنائهم وما يتلقونه من حكايات قديمة، وهو في حد ذاته نوع من الرقي بمضامينها؛ حتى لا يضر بالعملية التربوية بل يخدمها، كما سنرى من خلال الأمثلة المدروسة. لذلك، فإن السؤال المركزي الذي سألته في هذا البحث هو: إلى أي حد ساهمت الحكاية الشعبية في توجيه السلوك وتنمية القيم؟⁽¹⁾

ينبغي لذلك تعريف الحكاية الشعبية من جهة، وتعريف القيم ومعايير السلوك من جهة ثانية، والنظر في هذه الإشكالية من جهة ثالثة، وفيما توصلت إليه الدراسات السابقة، من جهة مقاصد هذه الدراسة وغاياتها العلمية، وهو ما

(1) يرى هادي نعمان الهيتي أن الحكاية الشعبية بشكل عام تصور مجتمعات عربية تعاني العبودية والتخلف والجهل والإيمان بالأرواح الشريرة ومقدرة الجان على التدخل في حياة الناس.. إلى جانب ما تورثه في النفوس من خوف أو قسوة أو احتياط زائد في العلاقات الاجتماعية والإنسانية.. وغير ذلك من الأخطاء السلوكية التي منبعها التخيل «غير المنضبط» في الحكاية الشعبية، وتأثير ذلك في الطفل من هذه الزاوية سلبياً، / ينظر: الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائله، ص 133/125.

سيأتي في العناصر التحليلية اللاحقة.

وبناءً على ما تقدم، تبدو أهمية دراسة الحكايات الشعبية في التعرف إلى إبداع العقل الجمعي الشعبي، من خلال الكشف عن محتوى الحكاية الشعبية الإماراتية من موضوعات ومعانٍ تحملها، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من طبيعة الموضوع الذي تتناوله، وسعيها إلى تأسيس نظام قيمي يستند إلى الحكايات الشعبية، ويلفت النظر إلى الجيد منها بقصد تعزيزها، أو التنبيه من خطر بعضها في صورة ملاحظة ذلك؛ من أجل حماية فكر الطفل وتهذيب سلوكه، وبثّ القيم المرغوب فيها لدى المجتمع الإماراتي، وتوجيه أنظار القائمين على الإصدارات الإماراتية العامة المخصصة للطفل في شكل كتاب منشور، إلى أهمية التدقيق في اختيارهم للأعمال الأدبية المنشورة، ومراعاة ما تحتويه من أفكار وقيم يتمثلها الطفل وتدخل في تكوينه التربوي.

لذا تحاول هذه الدراسة معرفة أهم القيم التربوية والأخلاقية التي يكشف عنها محتوى أحداث الحكايات الشعبية الإماراتية، وتقييم دورها في دعم منظومة القيم والمعايير الثقافية واستمرارها من خلال الموروث الشعبي. كما أن من أهداف هذه الدراسة الوصول إلى أنموذج يمكننا من خلاله معرفة مقاييس القيم التي تنهض بها الحكايات الشعبية، ومعرفة كيفية تحقيقها في النسيج السردى، وكذلك معرفة ما يمكن أن نوظفه منها في العملية التربوية بشكل عامّ، فلعلنا بذلك نصل إلى تصور مقترح لتوظيف هذه الحكايات في أدب الطفل من جهة، وفيما يتلقاه في سنواته الأولى من جهة أخرى. وزمن الحكاية قصير، ولكن تأثيره كبير وممتد عبر الزمن في حياة الأطفال، الذين سيكونون شباب الغد ورجال المستقبل، وقد يستغرق التأثير حياة بكاملها، ويطلع شخصيات الجيل الجديد بطابع خاص، مستمد من روح الثقافة التي

ينتمي إليها. فهي حكايات مشوقة تأسر الألباب مهما كانت موضوعاتها، وترسّخ في ذهن الطفل ما ينبغي أن يكون عليه سلوكه بين الناس، وما ينبغي أن يحفظه من قيم إيجابية، ويصونه من أعراف مجتمعه، ويدخل في ذلك أيضًا اكتشاف الصلة بين البشر في حياتهم اليومية، ويدخل فيها أيضًا ما يجب أن يدافع عنه الإنسان من شيم وأواصر انتماء وغيرة على الوطن، وهذه الصور المختلفة للعلاقات القصصية تحمل قيمًا تربوية وأخلاقية ثابتة، قد لا يسهل إيصالها من دون الحكاية وأساليب القصّ.

ويقتضي ذلك:

- التعرف إلى دور الحكاية الشعبية في تعزيز القيم الأخلاقية لدى الطفل، من خلال النسيج السردى الذي تنطوي عليه الحكايات.

- اكتشاف القيم المتضمنة في حكاية الطفل الشعبية في التراث الإماراتي، وتصنيفها.

- وضع تصور لكيفية توظيف الحكايات الشعبية في أدب الطفل في العملية التربوية.

- الدراسات السابقة:

لعل مسألة دراسة القيم في القصص والحكايات والوسائط الأدبية المتعددة قد حظيت بعناية كثير من الكُتّاب في مجال الأدب العربي أو العالمي المعاصرين، ونذكر على سبيل المثال ما جاء منها مرّجراً على تصنيف هذه الوسائط الأدبية بشكل عامّ، دراسة عنوانها: أدب الطفل، فلسفته، فنونه، وسائطه، لهادي نعمان الهيتي، وقد تمت الاستفادة منه في جوانب تتعلق بتعريف الوسيط (الحكاية) تحديداً عندما يكون حاملاً معرفياً وقيماً، وهو الباب الثالث من الكتاب⁽¹⁾.

(1) الهيتي، هادي نعمان: أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، العراق: منشورات وزارة الإعلام، ط1، 1977.

أما الدراسات المهمة بالحكايات الشعبية دون ربطها بمجال قيمى فكثيرة، وما يهمننا منها ما عرض في المخزون القيمى، بجانبه: التربوي والأخلاقي، فهما يستوعبان ما تفرّق من أنواع تلك القيم، وما نُسبَ من تصنيف الحكايات ذاتها (إلى الأنماط الواقعية، والأسطورية، والخيالية، وقصص الحيوان وغيرها)؛ أي إلى نماذج محددة حسب جنسها الروائي. ومن أمثلة ما تمّ الاطلاع عليه من بحوث ودراسات سابقة وقريبة من موضوعنا:

- ولاء محمد عبد العزيز، وتغريد محمد بيومي السيد؛ القيم التربوية في بعض القصص الأردنية لمرحلة رياض الأطفال، وقامتًا فيه بعرض محتوى الحكايات والقصص ودراسة مضامينها التربوية، وما احتواه كل منها من قيم اجتماعية وأخلاقية وغيرها⁽¹⁾.

- فاتن سليم بركات: مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سوريا، وقد اهتمت بالقصص الموجهة إلى المرحلة العمرية ما بين خمس وثمان سنوات، وعينة الدراسة قصص منشورة للمؤلفة مريم خير بك، عنوانها سلسلة البشائر الصغيرة، وقد صنفت فيها القيم وفق أنموذج كنعان (لسنة 1995)، وسنعرّضه لاحقًا⁽²⁾.

- وللباحثة ستيبا الرايح (إندونيسيا) بحث قريب أيضًا من موضوع هذه الدراسة، عنوانه: أثر القصة الواردة في كتاب "العربية بين يديك" في تنمية القيم التربوية (الكتاب الرابع نموذجًا)، معهد اللغويات العربية جامعة الملك سعود⁽³⁾، وبناءً على معرفة القيم التربوية الواردة في تلك القصص المدروسة، توصلت

(1) محمد عبد العزيز، ولاء ومحمد بيومي السيد، تغريد: القيم التربوية في بعض القصص الأردنية لمرحلة رياض الأطفال، (في 80 صفحة) ونشر برسالة المشرق، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، المجلد 32 / 2017، ص 409-496.

(2) بركات، فاتن سليم: مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سوريا، نشرت بمجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3/2010.

(3) الرايح، ستيبا STIBA Ar Raayah, Indonesia (أندونيسيا): بحث قريب أيضًا من موضوع هذه الدراسة، عنوانه: أثر القصة الواردة في كتاب "العربية بين يديك" في تنمية القيم التربوية (الكتاب الرابع نموذجًا)، معهد اللغويات العربية جامعة الملك سعود، 2012.

الباحثة إلى استنباط الطرق والإستراتيجيات المناسبة للتعليم، مثل استخدام أسلوب العرضية في عملية التعليم وتنمية القيم التربوية، فهو أسلوب جذاب لنقل السامع والقارئ إلى واقع القصة.

ونستخدم في دراسة هذه الحكايات أسلوب تحليل المضمون، حيث يتم استخراج القيم التربوية الواردة في الحكايات الشعبية، وتحليل مضمونها من النواحي النفسية والأخلاقية والاجتماعية، ثم بيان كيفية رسوخها في ذهن وتقدير انعكاساتها. ويعتبر أسلوب تحليل المضمون أحد أساليب البحث العلمي التي يقوم فيها الباحث بدراسة مادة الاتصال؛ ما يساعد على الفهم الأعظم لها، كما أنه يساعد على التنبؤ بما يقصده المرسل من أفكار، وما توحى به اتجاهات المعاني في خطابه إلى المتلقي⁽¹⁾.

وقد اتبعت الدراسة المنهج التحليلي من أجل استخراج المضامين التربوية والاجتماعية في عينة منتقاة من الحكايات الشعبية الإماراتية المروية أو المنشورة؛ لإعطاء أدلة على القيم والمضامين التربوية والاجتماعية والتعليمية، وما تحمله من دلالات وتتوسل به من سرد ووصف للشخصيات في تلك الحكايات نظرًا إلى أهميتها، فقد يتوحد معها الطفل ويتأثر بها سلوكيًا. وتم اختيار أربع عشرة حكاية شعبية إماراتية من الحكايات الشعبية المروية للأطفال المنشورة وغير المنشورة من بين عدد كبير من الحكايات التي تم الاطلاع عليها، وفق معايير محددة تستجيب للأهداف المذكورة سابقًا، منها: أن تكون من الحكايات الشعبية الأكثر انتشارًا في مجتمع البحث (المجتمع الإماراتي)، وتجمع بين أنماط البيئة الاجتماعية الإماراتية البدوية والحضرية، فضلًا عن تنوع موضوعاتها، واشتمالها على النمط الواقعي والواقعي التخيلي.

(1) طعيمة، رشدي أحمد: تحليل المحتوى في العلوم السلوكية "مفهومه، أسسه، واستخداماته"، القاهرة: دار الفكر العربي، 1987، ص 50.

ولقد اتبعنا تصنيف القيم المدروسة، دون أن نضيّع الفرصة على القارئ لمعرفة نسيج تلك الحكايات؛ ولذلك فالوصل بينهما مؤكد، انطلاقًا من القيمة إلى كيفية تشكّلها السردية، فقد عُدت "القيمة" جملة تحليلية تصنيفية وفق مقياس كنعان (كنعان 1995)⁽¹⁾، وقد أخذ كثير من الباحثين المتخصصين في أدب الطفل بمنهج لقيّمته من الناحية العلمية؛ ولكونه وضع تصنيفًا دقيقًا للقيم والمعايير الأخلاقية بحيث لا يحدث فيها تداخل، ويمكن كذلك استقراؤها في الحكايات بمنهج وصفي عملي.

- مفهوم الحكاية الشعبية الموجهة للطفل:

لعلّ الخيال الشاسع الذي تتسم به الحكايات الشعبية مهم في تكوين الطفل من سن الثالثة فصاعدًا، بل هو ضروري في كثير من الدراسات والبحوث، وليس المطلوب أن تكون وقائع الحكاية واقعية حتى يدركها الطفل أو يتأثر بها إيجابيًا، فأخيلة الإنسان نحو الكون تؤلفها معلومات سحيقة القدم، وأخرى من الواقع اليومي، وأخرى من العلم الصحيح والحياة العملية، وغير ذلك من المعلومات المختلفة. وهي كلها تشكّل ثقافة شخصية واجتماعية لها مزايا كثيرة في تكوين الشخصية، بما في ذلك في بُعدها التخيلي الذي هو أصل الإبداع والابتكار والخلق، فبعض دارسي علم النفس من العلماء المتخصصين يفسرون انجذاب الأطفال إلى الحكايات الشفوية الشعبية تحديدًا على أنها نوع من "اللعب الإيهامي" الذي يحتاج إليه الأطفال احتياجًا شديدًا؛ نظرًا إلى تشبعه بالخيال وقدرتهم على التجسيد، إضافةً إلى كون الحكايات تشبه الأحلام في جعلها

(1) أحمد، كنعان: أدب الطفل والقيم التربوية، (دمشق 1995). / اعتماد هذا البحث لدى كثير من الدارسين مثل: الدكتورة فائق سليم بركات؛ مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سوريا، مقال بمجلة جامعة دمشق، المجلد 26 / العدد الثالث، 2010.

الشخصيات الواقعية أكثر اتساعاً ومدى في القول، والفعل، والتصرف⁽¹⁾ .

ومن خصائص الحكايات الشعبية الموجهة للطفل اشتراطها عناصر تكميلية لها صلة بالمشافهة وظروفها، ومن ذلك وجود جمهور للأطفال يتقبلها ويفيد منها، وهو مجال البحث والدراسة من زاوية تربوية⁽²⁾، وهنا يتم الاهتمام بالحاجات البيولوجية والغرائزية للأطفال، وأخذها بعين الاعتبار في مضامين الأدب الطفولي بشكل عام، والقصص والحكايات الشعبية بشكل خاص؛ حيث إن الأطفال ما دون سن السادسة عشرة يتلقون من الأدب الشعبي أكثر مما يتلقون من الأدب الفصيح المكتوب، بحكم أن البث الشفوي يستوحي الموروث الشعبي قبل الموروثين المنشور والمكتوب. وهنا تصدر الأطفال عن نوازع خاصة من الأمن والخوف، ومن السكينة والغضب، ومن الرغبة والملل، ومن الأمل والألم، ومن الهدوء والغضب، ومن الاكتشاف والانطواء... ويكون ذلك في ارتباط مباشر بالقيم المتشكلة لديهم والمبادئ التي تلقوها، وإذا كانت الحكاية الشعبية من مصادر هذه التربية الثابتة التي تتجاوز البرامج التعليمية تأثيراً في المراحل المبكرة، بل قد تكون الرافد التعليمي الوحيد قبل دخول الطفل المدرسة، فيتوجب النظر في بنية هذه الحكايات من الناحية القيمية، لنعرف ما تخاطبه في تشكيلات الوعي واللاوعي الطفولي، لا بوصفه فرداً، بل بوصفه جمهوراً من الأطفال؛ أي يمثل مرحلته العمرية في اتساعها وشمولها لا في تفرداها، وكذلك النظر فيما تفرزه الحكايات من ردود فعل سلوكي في ذلك الجمهور؛ أي في فئة عمرية منهم، حتى وإن سمعوا الحكايات كلٌ وحدَه في سياقهِ العائلي الخاص؛ فالمهم أن يكون أولئك الأطفال قد سمعوا نفس الحكايات. وهنا نتساءل: ماذا

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص133 / ويقول الهيتي: « الحكايات التي استمعنا إليها، ونحن صغار من جداتنا مشدودين إليها بقيت راسخة في الذاكرة والوجدان» / نفس المرجع والصفحة.

(2) نفس المرجع، ص13.

يمكن أن تكون تأثيرات الحكايات في سلوكهم، وكيف وجهت إدراكهم، ومشاعرهم، وأذواقهم، ونظرتهم إلى الحياة؟⁽¹⁾

ولذا لا بدّ أن يتوافق "الغذاء الروحي، والأدبي، والذوقي"، الذي يتلقاه الطفل من الأدب والشعر والحكاية الشعبية مع ما يوافق غايات تربية معلومة وسُلمًا قيميًا معلومًا نريد أن نوصله إليه في تأنٍّ وانتباه، وهو ما يسعى إليه القائمون على التربية والتعليم عادةً، فدور الدارس غير دور الأسرة؛ لأن الدارسين يقدمون خدمة جليلة للقائمين على التربية من خلال اجتهاداتهم في فهم الصلات الذهنية والنفسية بين الحكاية وشروط تنشئة الطفل الصغير، من خلال تدقيق النظر فيما يتلقونه من روافد المعرفة المختلفة الموجودة في الحياة، وفي الواقع الافتراضي الذي تقدمه الحكايات، وإذا تم إدراك ما لها من دور في رسم شخصية الطفل وتوجيه طاقاته، ومعارفه، وذوقه، وميوله، ورغائبه، وأفكاره، فإن ذلك يكون طريقًا إلى إصلاح العملية التربوية برمّتها، وعدم التعويل في ذلك على البرامج والمقررات الدراسية وحدها.

وتعتبر مناقشة "محفزات النمو" الآتية من الحكاية الطفولية مسألة في غاية من الأهمية عند المتمرسين بالعملية التربوية، وليس هذا متاحًا للذين ينظرون إلى المسألة من جوانبها التنظيمية فقط، بمعنى أننا أمام تيارين من تيارات الوعي التربوي؛ تيار يرى أن الحكاية تكمل مناهج التعليم، وهي مجرد وسيلة للتربية القيمية، وتيار يرى أن الوسائط غير التعليمية المباشرة (ومنها الحكاية)، قد تكون أهم تأثيرًا في سنين الطفل الأولى، وهي مهمة موكولة إلى الآباء، لا إلى المشرفين على التعليم العمومي أو الخاص؛ فالأدب الشعبي أقرب إلى الأنشطة المجتمعية والأسرية، ولذلك يجب أن نوجه اهتمامنا إلى ما يتلقاه

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص 133/125.

الطفل بين جدران بيته قبل أن يغادره إلى المدرسة والمجتمع، ونقرأ تلك التجارب (الحكاية) قراءة معمقة؛ لأنها مصدر التربية الأول والأساسي بالنسبة إليه.

والقولان راجحان بحسب طبيعة كل مجتمع؛ فالطفل ينشأ بين أشكال من العلاقات، متداخلة الصلات بحسب حرص والديه على ذلك، والنظرة الثانية أهم وأصدق في الإحاطة بمسألة التربية الحقيقية التي تبدأ بالبيت أولاً، والمجتمع الواسع ثانيًا، ثم المدرسة...، فالحكاية تحمل بذور تربية أولية تغطي الفضاءين الأول والثاني (البيت والمجتمع)، وتكون بعيدة عن معايير التقييم، والزجر، والرقابة، والمحاسبة، كما يحصل في المدرسة، فليس فيها هذا البعد التقويمي/الزجري/الإلزامي الذي تأخذه الأساليب التعليمية، وهو أمر مهم جدًا أن نأخذه بعين الاعتبار في فهم تأثير الحكاية الشعبية، فهي تؤدي تربية في اتجاهين تواصلين ووجداني، ولذلك فهي محبة إلى الطفل، وقريبة جدًا منه، وهي تحمل شغفه إلى المعرفة وولعه بالوقائع المشوقة والشخصيات الغريبة...، كما تحمل العادات المشتركة التي يتم تقريبها إلى الطفل تدريجيًا ودون إلزام، فيقتنع بها، وهو يلعب ويستمتع بالأحداث المشوقة. وكمثال على ذلك، يضرب تشيخوف⁽¹⁾ مثالًا طريفًا عن أهمية الحكاية وطرق التعليم من خلالها في تلك السن المبكرة، وقد اتخذ حيوانًا أليفًا هو الهرة مثالًا ليشير به إلى الطفل لما بينهما من تقارب في الوعي في مرحلة الطفولة، وهذه الحكاية تعلّمنا دور التعليم المبكر وأهميته، يقول: "حاول عمّ لي أن يعلم هرة كيفية صيد الفئران، فوضعها في غرفة مغلقة،

(1) أنطون بافلوفيتش تشيخوف (29 يناير 1860 - 15 يوليو 1904) (بالروسية: Антон Павлович Чехов) طبيب وكاتب مسرحي ومؤلف قصص روسي كبير ينظر إليه على أنه من أفضل كتاب القصص القصيرة على مدى التاريخ. ومن كبار الأدباء الروس. كتب المئات من القصص القصيرة التي اعتبر الكثير منها إبداعات فنية كلاسيكية، كما أن مسرحياته كان لها تأثير عظيم على دراما القرن العشرين. بدأ تشيخوف الكتابة عندما كان طالبًا في كلية الطب في جامعة موسكو، ولم يترك الكتابة حتى أصبح من أعظم الأدباء، واستمر أيضًا في مهنة الطب وكان يقول «إن الطب هو زوجتي والأدب عشيقتي».

وأثاها بفأر يجالسها، ورافقها في تلك الغرفة طوال الوقت. وما حدث أن الهرة لم تتقدم، وهي في سنها الصغيرة، ولم تهاجمه، وصار الفأر تدريجيًا أجراً وأكثر إقدامًا حتى انتهى إلى مهاجمتها، وأورثها ذلك خوفًا لازمها من الفئران حتى بعد أن كبرت" ⁽¹⁾ .

وهذا مثال بسيط يوضح أن حكم العادات والظروف قد يكون مبالغًا فيه وسيئ التأثير، لأنه يغيّر الطبيعة ذاتها، ويوطّن النفس على غير ما تريد وترغب، بينما تسير الحكاية بوهج بريقها الخلاب ودفق شعورها الوهاب في طريق مشاعر الطفل وإدراكه، لا تسلبه شيئًا ولا تفرض عليه شيئًا، وإنما تلبي حاجات في نفسه وتعطيه من معاني الحياة ما يكتشف ويحتاج، ولذلك فمن الأولى أن يكون البعدين التعليمي والتربوي فيها أقوى من غيرها، وأقرب إلى طبيعة الطفل واحتياجاته، ولعل ذلك يقودنا إلى محاولة فهم ما ينطوي عليه التخيل (الحكائي)، من عجائب التأثير. وأغرب ما في الأمر، أن الأطفال الذين هم دون سن السادسة، يتجهون إلى الحكايات الواقعية، ويتعلقون بها بحسب بعض الدراسات، بينما يتجهون إلى قصص الخيال، والعماليق، والعوالم الخارقة عندما يكبرون إلى حدود العاشرة، بمعنى أن قوة التخيل متطورة لديهم، ولها حاجياتها التي تمثلها الحكاية ⁽²⁾ .

والملاحظ في صلة الحكاية الشعبية بالتكوين النفسي للأطفال الآتي:

- إن الأطفال من خلال اندماجهم في أحداث القصة، يستطيعون اكتشاف أنفسهم، فيقومون باختبار قدراتهم إزاء العالم المحكي، ويقارنونه بعالمهم الواقعي لإراديًا، ويدفعون بإراداتهم لتتخطى حاجز الضعف والاستكانة، لتسير

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص15-16.

(2) ونفريد، مسرح الطفل. نقلًا عن: الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص15.

نحو الفعل والتجربة. فلو أن فضل الحكاية الشعبية يقتصر على هذا الجانب فقط من الحفز على خوض غمار التجربة في بُعدها الواقعي، مع وعي الطفل أن للواقع مقتضيات غير ما في الحكاية من حرية الفعل والحركة والقول، لكانت من أقوى المحفّزات على تطوير القدرات الذهنية والنفسية ونمو الشخصية، وعندما يدفع الطفل بحدود عالمه إلى ما هو أبعد من مداه، وقد ميز الواقعي من الخيالي، يكون قد وضع معارفه السابقة موضع الاختبار، تمهيداً لاستكشاف الحياة في أبعادها، حيث إن عالم الخيال لا يتقمصه الطفل، ولا يمكث فيه إلا زمناً قليلاً هو زمن الاستماع إلى الحكاية، ثم يبدأ في تسجيل أسرار الحياة الواقعية واختبارها كما يقول ه.د. كوربن⁽¹⁾.

- يتخطى الأطفال مع الحكاية الشعبية المسموعة حدود الزمان والمكان، فيجدون أنفسهم في عوالم شتى واقعية وخيالية، وشخصيات يعرفونها، وأخرى من الكائنات الغريبة، وبعضها يشبههم في الخلق الإنساني المحض، أو يكون صنيعة عناصر متمازجة، واقعية وخيالية، فينقدح جانب التمثل من ملاحظة هذا الشبه بين الشخصيات وبينهم، كما أن خيال الطفل قادر على استيعاب تداخل العوالم، والقفز الزمني والانتقال المكاني في أشكال خارقة، وليس في ذلك ما يعيب الرؤية الكونية للطفل ولا إحساسه بالزمن والأبعاد المختلفة؛ بل على العكس، فإنه يعرف فضاءه الواقعي أكثر عندما ينتهي سرد الحكاية، ويضع قدميه على أرض الحقيقة، ويعود إلى معاينة منطوق الأشياء. وهذه العودة مفتاح فهم سيكولوجية القصة وتأثيرها في الخيال والإدراك، ويجب ألا يُخشى الجانب (الحكائي) المبالغ فيه من زاوية الخوارق والمعجزات، فهي تحفز الحدّ المنطقي الذهني الذي يعمل بشكل عكسي فيميز بين الأشياء من خلال المقارنة الذهنية؛

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص125/133.

فالطفل وهو يسمع تفاصيل الحكاية ووقائعها الدائرة في أزمنة افتراضية وأمكنة متباعدة وشخصيات متخيلة، يتعلم الذهاب (إلى عالم الحكاية) والعودة منها، وحسب كوربن: يتعلم الطفل من تلك العوالم التعليمية ما لا يملكه الواقع نفسه بشكل تمثيلي، فالأولى أن الطفل لا يرى أنماط السلوك السيئ في واقعه؛ بل يراه في الحكاية، حتى لا يقفز المثل السيئ إلى الوعي في شكل تعليم وتلقين وتقليد، والضمانة التي تقدمها الحكاية الشعبية المسموعة أن الواقع السيئ والسلوكيات الخاطئة تمثلها شخصيات الحكاية، وستبقى في إطار الحكاية وفضاءاتها وكأنها ليست من الواقع؛ لأنها لا ينبغي أن تكون فيها ولا ينبغي تقليدها فيه ⁽¹⁾.

والحكاية الشعبية الإماراتية أنموذج يمثل الحكايات الشعبية العربية، من حيث ارتباطها بالظروف الواقعية نفسها، ومن حيث بنيتها الشكلية والفنية، ومن حيث احتفاء الذاكرة الشعبية بها، أما من حيث المضمون؛ فهي تحتفي بالمعاني المشتركة لدى سائر أبناء الأمة العربية، وتضفي على ذلك خصوصياتها المرتبطة بهوية شعب دولة الإمارات الخاصة، وعاداته، وتقاليده، وأعرافه، وقيمه الاجتماعية الموروثة...، وهي مثل الحكايات المنتشرة في البلاد العربية، تتحدى اليوم أساليب الحياة المتبدلة المتغيرة دأبًا نحو مزيد من التحضر، ومزيد من الفردية، ومزيد من تعقيد الحياة، وهي عوامل حضارية مرتبطة بجانب التطور المادي و(التقني) والعلمي الهائل الذي صارت عليه حياة الناس في عصرنا، ولا يخدم ذلك الحكاية الشعبية كثيرًا لأنها تعيش بين أجنحة الناس الذين يلتقون لروايتها والاستمتاع بأحداثها؛ فمجالها هو مجال التقارب الإنساني والاجتماع والاستئناس، ومن هنا كانت الحكاية الشعبية شاهدًا على أصالة فريدة وجوهر

(1) ينظر: محمد عباس إبراهيم، الثقافة الشعبية الثابت والمتغير، مصر: دار المعرفة الجامعية، 2009، د ط ، ص 13.

ثابت في المجتمع الذي تولد فيه وتنشأ وتتطور، وهذا ما يدعو إلى تأملها من منظور أنثروبولوجي، يتفحص الروابط الاجتماعية والثقافية والفكرية والتخيلية التي تعبر عنها، فهي ليست مجرد خزان للذكريات البعيدة المتجددة في الواقع فقط، وإنما هي مليئة ببذور الأفكار والمواقف التي تُحِيل على الحاضر والمستقبل ⁽¹⁾.

وبشكل عامّ؛ فالحكاية الشعبية تنهل من الواقع الحياتي ومن أشكال الممارسات الاجتماعية كذلك، وهي متجاوزة لحدود الأجناس القصصية المتعارف عليها في الأدب الفصيح، غير متقيدة بصرامة النوع الأدبي، وقد تركز على حدث، أو على بطل، أو بُعد واحد من الأبعاد الفنية للقصص، فيأخذ مداه الاجتماعي أو التربوي أو الأخلاقي...، ولكنها تشترك والأدب الرسمي في طرح قضية الصراع بين الخير والشر، وجدلية العدل والظلم، وقضايا أخرى مشابهة؛ وترفع شعار ترسيخ قيم الخير في أغلبها، وإعلاء شأن الأخلاق الحميدة، كما سنرى من خلال تحليل الحكايات في الجانب التطبيقي؛ حيث إن أمر التقويم الأخلاقي في الحكاية الشعبية يتقاطع مع أشكال أخرى من التقويم، والإصلاح، والنقد الاجتماعي والنفسي.

- تصنيف الحكايات الشعبية:

بقيت مشكلة تصنيف الحكايات الشعبية مطروحة لدى الدارسين إلى اليوم لأنها مخترقة لشتى المناهج الأدبية وغير الأدبية المهمة بدراساتها، ولقد شغلت الباحثين والكتّاب في اختصاصات شتى، مثل البنيوية و(الشكلانية) والأنثروبولوجيا على حد سواء، وأكثر التصنيفات بساطة هي التي يقسمها إلى:

(1) ينظر: صالح، كامل فرحان: فاعلية الأدب الشعبي وحركيته، في إشكالية المناهج وثراء الخصائص مع نماذج مختارة. مجلة الثقافة الشعبية (العلمية المتخصصة) العدد 41-البحرين، 2018 / نشر إلكتروني، تاريخ الدخول الى الموقع 12/7/2021.

1- الحكايات العجيبة: وهي الحكايات الخرافية والأسطورية.

2- الحكايات المستمدة من التجارب الواقعية والحياة اليومية.

3- الحكايات التي يكون الحيوان موضوعاً لها.

وهذه الأنواع الثلاثة هي الأكثر شيوعاً في الدراسات الغربية والعربية، وقد تتداخل الأنواع فيما بينها فيصعب أن نحكم بتصنيف الحكاية ضمن صنف واحد من تلك الأنواع، ومن أهم الباحثين الذين أولوا تصنيف الحكايات اهتماماً خاصاً الباحث الألماني المرموق فوندت (بالألمانية: Wilhelm Wundt) في بحثه الموسوعي سيكولوجية الشعوب، ولكنه توسع في تعريف أصنافها، فقسّم القصص الشعبية إلى الأنواع الآتية:

1 - الفابولا (الحكاية) الميثولوجية.

2- حكايات السحر الخرافية الصرفة.

3- الحكايات الواقعية.

4- حكايات الحيوان.

5- حكايات أصول القبائل والشعوب.

6- الحكايات الهزلية الخرافية أو (فابولات هزلية).

7- الحكايات الأخلاقية (1).

وتجدر الملاحظة أن الحكايات الهزلية تدخل في عداد الحكايات الواقعية

(1) فيلهلم ماكسيميليان فونت (بالألمانية: 16) (Wilhelm Wundt) أغسطس 1832 - 31 أغسطس 1920) طبيب وعالم فيزيائي وفيلسوف وأستاذ، يُعرف اليوم كواحد من مؤسسي علم النفس الحديث. فونت أول شخص يطلق على نفسه (عالماً نفسياً) وهو الذي ميز علم النفس كعلم من الفلسفة والبيولوجيا. يعتبر على نطاق واسع «والد علم النفس التجريبي». أسس فونت أول مختبر رسمي للبحوث النفسية في جامعة لايبزيغ في عام 1879. / كتابه الموسوعي، سيكولوجية الشعوب.

في تصنيف باحثين كثر، ومع كل هذه الصعوبات التي تثيرها الحكايات في تداخلها من حيث النوع والجنس الأدبي، فإنه تحسّن مراعاة خصوصية الحكاية العربية، وإدراج أنواعها ضمن ما هو شائع إلى ثلاثة أساسية: الحكايات الواقعية، والحكايات العجائبية، وحكايات الحيوان، وهو ما سنسير في اقتفائه من خلال دراسة الحكايات الشعبية الإماراتية تطبيقياً.

وقد اهتمت جل الدراسات الخاصة بالحكاية الشعبية العربية بجانبها (الشكلاني)/البنوي وركزت على أبعادها الجمالية والفنية، بينما أغفلت جانب المعنى في ارتباطه بالأنظمة الثقافية، ونستثني من هذا الحكم الدراسات الجادة التي أنجزت في مجال التأويل، مثل دراسة عبد الحميد بورايو للحكاية الشعبية في المغرب العربي، وقد خلص فيها إلى أن "النظر إلى حكايات مدونة خرافية يُفضي إلى عدّها خطاباً ثقافياً واحداً لأنها الوسيط الثقافي الذي سمح بانتقال المكونات الأسطورية إلى الخطاب الثقافي ذي الوسائط الجمالية والطبيعة الفنية"⁽¹⁾.

وهذا رأي مهم يؤخذ بعين الاعتبار في سياق عملنا. ومن الدراسات التي عنيت بالاشتغال التأويلي للحكاية الشعبية دراسة محمد الجويلي: "أنثروبولوجيا الحكاية الشعبية" دراسة في حكايات شعبية تونسية، وتقوم على سبر مدلولات الحكاية الشعبية العميقة، وربطها بالنظام الثقافي الشفوي والمدون والتفكير في الصلة بين مضامينها ومضامين التراث، بوصف ذلك التراث هو بيئة فكرية مترسبة في الوعي الجمعي، تجد طريق تجسدها في سياقات ثقافية متداخلة منها الإنساني العام، ومنها العربي الإسلامي، ومنها غير ذلك من التنوعات

(1) الكعبي، ضياء عبد الله (كاتبة من البحرين): الحكاية الشعبية في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي (دراسة في الأنساق الثقافية والتأويل لأربع مجموعات حكاية شعبية)، مجلة الثقافة الشعبية - فصلية علمية متخصصة - البحرين، العدد 13، ربيع 2011.

العرقية المحلية ⁽¹⁾ .

وسيتّم خلال التحليل التطبيقي للحكايات من زاوية توارّد القيم فيها قراءة الأنساق الثقافية (cultural paradigms) التي تكون تلك القيم الأخلاقية والتربوية، وهي نظم (systems) بعضها كامن في بعض، وهي ظاهرة ماثلة في أي ثقافة من الثقافات بوصفها تمتلك ملامح تمييزية تراتبية، ومنها تفاعل النظم العُرفية والآداب الاجتماعية في صنع المعنى والقيمة في الحكاية.. وتحدّد جميعاً مواقع الذوات الفاعلة في ثقافة ما، "وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقّيه" ⁽²⁾ .

سيتمّ النظر أيضاً في التحريك السردّي في الحكاية الشعبية في صلته بالقيم التي يؤسّسها، وهو ليس مفهوماً شكلياً فحسب، وإنما هو مفهوم جامع لوصف صلة الحكاية الشعبية بالبنى الاجتماعية التي أنتجتّها؛ فالحكاية الشعبية تخضع لأنساق صاغتها الجماعة من تاريخ طويل تمتزج فيه هذه العوامل الموروثة وتتفاعل فيما بينها، وتجاوز الذاكرة التخيلية الشعبية تلك السلطات فتخضع لها أو تتحدّاهَا، وذلك سر الإبداع والتميز فيها، وكلما كان ثمة إقصاء أو حيف يطال الفرد في مجتمعه، قدح ذلك في إبداع فن شعبي خاص في تعبيراته السردية يناسب الذائقة السائدة، فتكرّره بعد ذلك الأجيال لأنها اعتمدته بشكل جماعي، ومن هنا الحديث عن "التحريك السردّي الجماعي"، ويُقصد به عند الدارسين: "تتبع ما تخلقه الجماعات لنفسها وتنسجه نسجاً لخلق متخيله، وإنتاج بلاغتها الشعبية الخاصة بها وثوابت قيمها".

ورغم الأهمية التي يحتلّها أدب الأطفال في ثقافتنا العربية المعاصرة

(1) ينظر: الجولي، محمد: أنثروبولوجيا الحكاية - دراسة أنثروبولوجية في الحكايات الشعبية التونسية، تونس: مطبعة قرطاج، ط1، 2003 ص50.

(2) الكعبي، الحكاية الشعبية في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي (دراسة في الأنساق الثقافية والتأويل لأربع مجموعات حكاية شعبية)، ص 29.

وفي بناء الطفولة بشكل عامّ من جوانبها المختلفة، فإن البحوث الجادة التي تهتم بوسائطه الشعبية لم تتبلور بعدُ في ساحة الفكر العربي، في الوقت الذي تتلاحق فيه الدراسات والبحوث عن الآداب الطفولية في بلدان العالم المختلفة، وخاصة ما يكون منها مستوحى من الذاكرة الشعبية ومن التراث الشعبي، حيث إن تأثيرها النفسي والذوقي والفكري لا يقل درجةً أو قيمةً عن الآداب التي تُكتب باللغات الفصحى، وليس ثمة في هذا الجانب فرق بينهما من ناحية التأثير في العملية التربوية أو التوجيهية الحاملة لقيم المجتمع وكيفية تناقلها بين الأجيال⁽¹⁾. والأسلوب القصصي/الحكائي من أهم الأساليب التربوية التي يمكن استخدامها لتعليم القيم والتدريب عليها وتوجيه اهتمام الناشئة إليها وإشعارهم بأهميتها؛ نظرًا إلى أن السرد المحكي ينطوي على مكونات ثلاثة متكاملة تساهم في غرس القيم في التربة الشخصية الطفلية، وهي تتدرج على أعتاب الحياة. وهذه المكونات هي:

- **المكون النفسي:** ويتضمن مؤثرات الحكاية النفسية التي تثير انفعالات الطفل أثناء سماعه الحكاية، وتثير مشاعره، وتستميل مواقفه تجاه الأحداث والشخصيات بأساليب فنية يتقنها السارد أو الروائي أو (الحكائي) في تواصل مباشر مسموع يملأ النفس طاقات تحفيزية.

- **المكون الخيالي:** وهو الذي يبرز في الحكاية من خلال عناصرها التشويقية وتصويرها للأماكن والأزمنة، والأشخاص والأحداث، فكل هذه التفاصيل المترابطة يتقبلها الطفل لحظة الاستماع بخيال يصنعه في عالم افتراضي بأدواته الخاصة التي تحوّل الكلمات المسموعة إلى مشاهد شبه حقيقية يراها بعين البصيرة، ويعيشها وجدانيًا بمشاعره، ويفكر فيها بعقله، وعندما تكون عوالم الحكاية

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص5.

متخيَّلة وغير واقعية، يبدع خيال الطفل تلك المكونات بطاقة خاصة فيها لمسة من الإبداع، ويختلف عن غيره بالضرورة في كيفيات التخيل والصنع الذهني، وكذلك في كيفية التفاعل مع الوقائع التخيلية والإحساس بها، ولكن يبقى هذا المكون من أساسيات الحكي وشروط تقبُّله.

- **المكون الإدراكي:** وهو فاعلية العقل المنطقي عندما يفكر في الأشياء الواقعية، فيتعلم التحليل والتفكيك والجمع والاستنتاج والاستنباط، وكلما ازدادت أحداث الحكاية تعقيداً، ازدادت عمليات العقل التحليلية وتدبراً وربطاً للسابق باللاحق، وقياساً للأشياء بعضها على بعض، وقدرةً على الاستشراف والتوقع والاستنتاج..، فلذلك يكون استماع الحكاية تمريناً ذهنياً من الدرجة الممتازة لذهن الطفل وطاقاته التحليلية.

وتتكون عناصر الحكاية المسموعة أو (القصة المكتوبة) من سبعة عناصر⁽¹⁾:

- **الفكرة:** وهي موضوع الحكاية وفكرتها، والغاية التي وُضعت من أجلها، وهي تصوّر ذهني ضروري على أساسه تقوم فاعلية نسج التفاصيل في ذهن من يصنع الحكاية ويبدها، ويُشترط في الفكرة أن تكون مناسبة لسنّ الطفل المتلقي، وملائمة لنموه العقلي والنفسي والوجداني.

- **الأحداث:** وهي الوقائع والأحداث التي ترسم تدرجها في زمن الحكاية، وهي عبارة عن أفعال تقوم بها الشخصيات، أو تنسب إليها، أو تروى عنها، والمهم أنها تمثل عند اكتمال حلقاتها ثلاثة مكونات حديثة رئيسة: (مقدمة الأحداث - العقدة - الحل)، وهذه الثلاثية لا يمكن أن تغيب في تكوين الحكاية، وتتفاوت تعقيداً بحسب طبيعة الحكاية ورغبة الحاكي وخطته في تنظيم الأحداث بعقدة بسيطة أو عقدة متطورة إلى عقد كثيرة، وكذلك له مطلق التصرف في جعل

(1) قنديل، فؤاد: فن كتابة القصة، مصر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2002، ص 23 - 280.

الحل فرعياً، أو مراكمة العقد وحلها جميعاً في آخر الحكاية، وهي تقنية أكثر إثارةً للتشويق والانتباه لدى المتلقي.

- **الشخصيات:** هي الفواعل في الحكاية والقائمة بالفعل، ومنها الرئيس والثانوي.

- **البيئة الزمانية:** أي زمان الأحداث.

- **البيئة المكانية:** هي فضاء الأحداث من حيث المواضيع والأمكنة.

- **البناء الفني:** هو سبك الأحداث، وهو مرتبط بقدرات صانع الحكاية على التصرف في الأحداث والربط بينها، ويمكن أن يتداعى سرد الأحداث خطياً، أو بطريقة غير خطية عندما يستعمل الكاتب الاستباق، أو التذكر، أو يكثف فيها التلميح والإشارة، أو غير ذلك من تقنيات السرد التي يمكن أن تكسر حلقات الزمن المتتالية، ويمكن أن تفاجئ المتلقي في كل لحظة، وتزيد في شدّه إلى وقائعها وشخصياتها، بتقنية سردية يختارها صاحبها، يمكن أن تزيد الحكاية تشويقاً في كثير من الأمثلة القصصية.

- **اللغة والأسلوب:** هما الكلمات والتعبيرات المختارة لسرد الحكاية، وهما كذلك موكولان لاختيار مبدع الحكاية ⁽¹⁾.

وقد يكون من المتيّسّر أن نكتشف شخصية الإنسان الراشد بمجرد التواصل معه ومحدثته والاقتراب منه، حيث إن مخزون ثقافته وتكوينه وتجاربه في الحياة يظهر في عملية التواصل بشكل جليّ، ولكن شخصية الطفل لا يمكن التعرف إليها بصورة واضحة، رغم ما فيها من شفافية وعفوية من خلال عملية التواصل؛ لأنها في طور التكوين واكتساب المعارف والخبرات، ولأنها قابلة للتغير والتبدل في تلك المرحلة التي يتلقى فيها المعلومات المختلفة

(1) قنديل، فن كتابة القصة، ص 240.

عن الحياة والعالم الذي يعيش فيه والعلاقات الإنسانية والقيم التي دخلت في نسيج الحياة الاجتماعية، وهي مسألة لطالما نبّه الدراسون الجادون إليها، حتى إن الآباء والمعلمين في المراحل العمرية الأولى للطفل قد يقفون حيارى أمام كيفيات التغير في سلوك الطفل بين فترة وأخرى، بل بين لحظة وأخرى، وقد يخرجون باستنتاجات خاطئة عن تلك الشخصيات الناشئة، إن هم حكموا عليها بتصنيف نمطي للشخصية، على غرار ما يحدث في أحكامنا المعيارية اليومية على الأشخاص الراشدين، دون معرفة بالخلفيات النفسية التكوينية والنفسية التي حتمت على الطفل في لحظةٍ ما أن يتخذ سلوكًا معيّنًا ⁽¹⁾.

وقد يلاحظ على الطفل أنه سريع تقلب المزاج، أو أنه قد يفاجئ بموقف غريب، أو يُظهر نبوغًا غير مفهوم في جوانب معينة من الحياة، حتى على الذين هم من أقرب الناس إليه كالوالدين أو المعلمين، فالأطفال يتأثرون بكلمات سمعوها، أو مشاهدات صادفتهم في الحياة اليومية عيانًا وتثير فيهم مشاهدات تخيلية من وحي قصة أو حكاية يسمعونها، فهم ينشدون محاكاة كل شيء وتجريب كل ما سمعوه، ولديهم قدرة على تحويل الكلمات إلى أفعال وخبرات وسلوكيات واقعية؛ فلذلك لا ينقطع دَهْشنا من تصرفاتهم في مرحلة النمو إلى سن المراهقة، ولا تتوقف الأسئلة التي نطرحها عن مغزى ما يقولون ويفعلون، وفي أحيان كثيرة قد يُبدي الأطفال من المعارف والمواقف ما نجهله تمامًا (نحن الكبار)، كما لو أنهم يصدرونها عن معرفة تذكيرية نسيناها عندما تقدمت بنا السن، فهم يستقون من نبع شربنا منه ثم فقدنا الذاكرة فنسيناه في زحمة الحياة، وهو ما يذكّرنا بقول أرسطو: "إن المعرفة تذكّر، وليست بالاكْتِسَاب" ⁽¹⁾، فهناك فطرة يستعيدها الطفل ليتصرف على أساسها ويمزجها

(1) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائله، ص10.

بمعرفة مكتسبة تأتي من التربية والقيم التي تعلّمها، فإذا به في لحظةٍ ما، يُفصح عن هذا المزيج، ويدهشنا ويجعلنا نتساءل: من أين له هذا؟

إن للطفل -إذا تربى في أجواء سليمة- طاقةً على الفهم والتواصل وإبداء الرأي دون خوف من طائلة العقاب والحساب، فإذا نمت طاقاته الوجدانية والنفسية والعقلية كلها بشكل سليم؛ صار مع الوقت ممتلئًا القدرة على تفعيل حسه التدقيقي والرد والدحض والنقد الجريء، وعلى خلاف ذلك؛ فإن الرقابة المتسلطة التي قد يمارسها الوالدان والمعلمون والكبار عمومًا تطمس الشخصية، وقد يؤثر ذلك تأثيرًا مباشرًا فيما يحصلونه من عملية التربية وما يرسخ فيهم من قيم ومبادئ. وليست الشدة مطلوبة في الأوقات كلها، كما أن التساهل في جميع الأوقات يفسد التربية الصحيحة، وما يهمنا هنا هو أن القيم الأخلاقية والتربوية تصل إلى الطفل وهو في طور تكوين شخصيته وكيانه المستقل، وإذا تم إيصالها بشكل سليم، فإنها تصبح أصيلة في بنية الشخصية الإنسانية؛ فلذلك تكون وسائط التعلم ذات أهمية قصوى في عملية التربية، ومن بينها الحكاية الشعبية والقصص التي يسمعها الطفل في مرحلة نموه.

والملكات التي يُنمّيها الطفل في مرحلة التعلم المبكر كثيرة متباينة، منها ما له علاقة بالفكر والمعارف والذكاء، ومنها ما يتعلق بالوجدان والمشاعر، ومنها ما يتعلق بالقدرات التخيلية الإبداعية، وهي ملكات متفاوتة بين الناس، وعادةً ما تأخذ شكلها الأول الذي لا يتبدل إلا قليلًا بالتقدم في العمر، فهو شكل يسم الشخصية بميسم خاص من الصعب تغييره لاحقًا، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن الطفل صفحة بيضاء والوالدان يكتبان فيها ما يصعب محوه بعد مرحلة الطفولة ⁽¹⁾، وهنا نجد المشاهدات الحسية التي تأتي من التجربة اليومية

(1) القول مشهور عن أرسطو إن المعارف البشرية تذكر بعد نسيان، وليس ثمة إبداع إنساني في اكتساب المعارف في واقع الأمر وإنما كل ما يحده ويعرفه عود على بدء إلى مرحلة المعرفة الكاملة الخالصة التي كانت في أصل وجودنا حتى قبل أن نخلق.

أو تأتي من السماعات؛ أي من خلال الحكايات والقصص التي تروى على أسماع الأطفال لتُكمل جوانب من الإدراك لدى الصغار، إلى درجة أن المعارف التي نتلقاها (صغارًا) بالحواس تكون بقوة ما نتلقاه بالتخيل الآتي من تأثير الحكايات على مرّ الأيام في حياتنا كبرًا. ففي الحكاية وسائل اتصال بالحواس قناتها الخيال، وهو طاقة ذهنية-انفعالية تتخذ وسائل في الإدراك تجمع بين السمع والبصر واللمس والشم والذوق ⁽²⁾ ، كل تلك الحواس تتفاعل تفاعلًا شبه حقيقي عند سماع الطفل حكاية من شخص يقصها عليه، فما تفسير ذلك؟

إن الحكاية تحمل إلى الطفل جانبًا تخيليًا عرفانيًا يوازي ما تحمله الحواس الخمس إلى الإدراك، وتزيد عنها بالمعرفتين الحدسية والتذكرية؛ ولذلك فشخصيته تُنحت في جزء منها في ذلك العالم التخيلي، وليس بالارتباط بالواقع العيني المحسوس وحده ⁽³⁾ ، وسماع الحكايات من أفضل تمارين التخيل. ويوجد فرق كبير بين التخيل التصوري والتخيل الحسي، ويتمثل فيما يأتي:

1. التصور: هو إدراك الأشياء بتمثلها ذهنيًا، كروية أشياء معينة (كتفاحة أو منزل)، أو مشاهدة بعض الأحداث كأنها تقع خلف الجفون المغلقة، برؤية لا تعتمد البصر، وإنما تعتمد البصيرة، ولذلك من الممكن أن يحدث هذا للطفل إذا سمع حكاية وهو مغمض العينين قبل نومه، كما أن الأحلام تُترجم من هذا العالم الخيالي التصوري.

2. التخيل الحسي: هو مشاهدة الأشياء والإحساس بها كأنها حلم يقظة؛

(1) الدراسات في علم النفس تؤكد أهمية ما يتلقاه الطفل في فترة الطفولة حتى سن المراهقة والقول مقتبس من أحمد أمين وهو شائع عند كثير من الكتاب.

(2) يحدث التخيل عندما تتوالد الأفكار في الذهن بشكل يمكن أن تراها وتسمعها وتشعر بها وتتذوقها، وكأنها بالفعل واقع محسوس ولملموس، فالتخيل ليس وهمًا؛ بل هو حلم وأمنية يرغب الإنسان في تحقيقها، ومن خلال عملية التخيل، يستطيع أن يتوصل إلى معلومات وطرق تُمهّد له الطريق لتحقيق النجاح. ولأن التخيل مهارة يمكن اكتسابها مع الوقت، فسنقدم لك عزيّزي بعض الوسائل التي تساعدك على تنمية حس التخيل.

(3) الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، ص11-12.

أي إن الإنسان (الطفل) يشعر بها كأنها تقع أمامه، أو أنه يقوم بها حسياً وليس تصويرياً، وقد يقال عن الأطفال الذين يعيشون عالمهم في أجواء الحكاية والمشاهدات والواقع إنهم توحدوا به، أو إنهم صاروا لشدة تأثرهم "أكذب المخلوقات"، ولكنهم في الحقيقة مع تأثير الحكاية يعيشونها فعلاً بإحساس كامل وبحواس مستنفرة، وقد يتفاعلون معها ويعبرون بكلامهم أو سلوكهم عما هو غير واقعي وغير منطقي بمعايير الإنسان "الراشد" الذي يخضع للعالم الموضوعي وقوانينه ورقابة العقل. قال المؤلف الإيرلندي الشهير جورج برنارد شو: "الخيال هو بداية الإبداع، إنك تتخيل ما ترغب فيه، وترغب فيما تتخيله، وأخيراً تصنع ما ترغب فيه"⁽¹⁾. وليس الخيال حلمًا من روافد النوم، ولا هو رؤية مطلقة لا يربطها بالحياة الحسية رابط، ويخطئ من يرى الخيال وهمًا منفصلًا عن الواقع أو تهويمًا مجردًا لا يدرك، بل الخيال يحفظ ما يدركه الحس من صور المحسوسات بعد غياب المادة، ولا ينبع الخيال من فراغ؛ إنما هو نشاط نفسي إيجابي يتفاعل مع النشاط الذهني فتنبجس عنهما ملكة واستعداد يولّدان قدرة على إضافة أشياء جديدة باهرة تجدد مقاربات الحياة.

ولذلك يكون حكمًا ظالمًا من جانبنا (نحن الكبار) إن أسأنا فهم خيال الطفل، وهو يتفاعل مع ما سمع وشاهد، إلى درجة التقليد، أو ترديد الكلمات من الحكاية، أو تجسيد أفعال الشخصيات، فإن ذلك (التقليد والترديد) يُعَدّ من صور التفاعل الإيجابي، وإن الحكاية المسموعة أو المرئية أو المقروءة قد بلغت مداها من إدراكه ووعيه.

والطفل في المراحل التكوينية الأولى من حياته؛ أي السنوات العشر الأولى وقبل سن البلوغ، يعيش مرحلة الاكتشاف التي قد تتحول إلى مرحلة

(1) مصطلح الخيال، الموسوعة العلمية العربية، ج3/ ص 124.

تجربة وتعبير عن الذات بوسائله المتاحة وبحسب تطور إدراكه ووعيه بنفسه والعالم من حوله، كما أن الغرائز والقدرات الفيزيولوجية لم تكتمل عنده، فمن الطبيعي أن يستعمل من وسائل الفهم والتعبير ما هو متاح له وليس ما هو في وضع الاكتمال؛ ولذلك يوصف الطفل بتعمد الكذب من قبل "الكبار" أو أنه كائن كذوب بطبعه، (كما يقال)، وفي الحقيقة صار يُنظر إلى هذه الظاهرة بشكل آخر في علم النفس السلوكي كما لو كان أمرًا طبيعيًا، فالطفل يصنع عالمه ويعبّر عنه، ويستحيل الحصول منه على معلومة صحيحة أو نهائية كما هو الشأن عند المتقدم في السن لأنه ليس ملزمًا بذلك، ولا يحتمل نفسه هذه المسؤولية إلّا بعد تطور معرفته بالقيم وإدراك الفرق بين الصدق والكذب أو بين الوفاء والخيانة، أو بين المحبة والكراهية أو بين التواضع والتكبر، وتلك هي القيم التي نسعى إلى فهمها من خلال الحكايات والأقاصيص؛ بل إنه يستحيل حصر المؤثرات التي تلقاها الطفل وحددت شكل سلوكه ومعلوماته التي يعبّر عنها، رغم أن مدارس التحليل النفسي السلوكي المهتمة بالطفل قد طورت كثيرًا من آليات تحليلها، مستعينةً بالملاحظة والتجربة والخبرة المتقدمة في علوم الإنسان بالمكون اللغوي، والمكون الثقافي، والمكون الاجتماعي، والمكون النفسي، وهي مكونات متداخلة تتفاوت حضورًا وتأثيرًا في سلوك الطفل (1).

وفيما يتعلق بالحكاية الشعبية الموجهة للطفل، من الضروري التذكير بأهم مميزاتها وشروطها وخاصياتها الفنية والتواصلية حتى نفهم بعد ذلك مصدر تأثيرها في قيم السلوك وسائر أنواع القيم، ثم ندرس درجة توجيهها القيمي والأخلاقي والنفسي، وآثار ذلك في الشخصية والسلوكية لدى الطفل. إن الحكاية الشعبية الموجهة للطفل موروث ثقافي ينهل من ذائقة شعبية

(1) قنديل، فن كتابة القصة، ص82.

شيدت أركانها أجيال متلاحقة، ونسجت خيوطها فئات مختلفة من الناس؛ تخيلت أحداثها أو نقلتها عن تجارب الأجداد وزادت فيها أو أنقصت، حتى تطورت تلك الحكايات بجهد "جماعي" عفوي وتلقائي يتجدد بمرور الزمن، ولكنه يبقى جهداً جيلياً وغير نهائي في أغلب الحالات، فمعلوم أن الحكاية الشعبية قد تروى بصيغ مختلفة بحسب طبيعة الجيل الذي يحكيها والظروف التي يعيشها، وتدخل في ذلك مؤثرات البيئة والثقافة وتطور الوعي ووسائل التواصل، وهي عوامل تجعل الحكاية ثابتة في أهم أحداثها فقط وفي شخصياتها الرئيسية. أما التفاصيل المتعلقة بالأحداث وكيفية رسمها، وكيفية ترتيبها، والزيادات الطرفية المتعلقة بالأمكنة والأزمنة، فهي أنسجة متغيرة متبدلة. ومع ذلك، لا تفقد الحكاية بريقها، وجاذبيتها، وتأثيرها. وكلما حافظت على صيغة قديمة وواجهت التغير في الحياة كانت أكثر أصالة، ويمكن أن نقول: إن راويها "جَمَعَ" أي إنه ليس فرداً واحداً قد أوكل إلى خياله وثقافته ومواقفه إبداع ما يأتي من تفاصيلها؛ فالمبدع الشعبي الذي يحكي الحكاية يستمد حضوره في الثقافة من عادات ذلك الشعب، ومن نوااميس ثقافته، ومن العرف الجاري في استدعاء الحكاية بحسب نوعها ومغزاها لتلائم ظرف الحكاية، بل إن خصوصيات الحكاية الشعبية تمتد حتى إلى كيفية اللقاء بالطفل والجلوس إليه، وهل هو فرد في لحظة السماع، أم يجلس في جماعة، وهل يكون ذلك ليلاً أم نهاراً، وهل طبيعة العلاقة بين الحاكي والمحكي له متينة وثيقة أم أقل وثاقة؛ فما ترويه الجدات غير ما يرويه الرجال الأقل سناً لأبنائهم أو أبناء غيرهم، وما يُروى في المجالس المفتوحة نهاراً غير ما يروى للطفل الفرد ليلاً قبل نومه، أو في علاقة حميمية بالأم أو الأب، يمازجها القرب والعطف ومشاعر الحنان، ويختلف هذا الوضع عن وضع الحكاية التي يقصها طفل على آخر، أو على مجموعة من الأطفال، فهذه مُحددات الحكاية المهمة

التي لها علاقة بالراوي وبالمروي له، وظروف الرواية المكانية والزمانية، وهي مهمة في توجيه الآثار القيمية والتربوية والسلوكية المتعلقة بمضمون الحكاية، فلا نتصور أن طفلًا يروي الحكاية ويوجهها للتقويم التربوي كما يفعل الكبير سنًا وهو يتصرف ليفعل المغزى والفائدة من الحكاية، ويعتمد وسائل التأثير المباشر وغير المباشر ليلفت نظر المتلقي إلى قيمة أخلاقية أو تربوية.

3- مفهوم القيم التربوية والأخلاقية وصلتها بالحكاية الشعبية

القيمة لغةً واصطلاحًا:

"القيَمُ" مُفْرَدُهَا قِيَمَةٌ، وترتبط لغويًا بمادة قَوَمَ التي تمتلك عدّة دلالات، منها قيمة الشّيء وثمنه، والثّبات والدّوام، والاستقامة والاعتدال، ونظام الأمر وعِماده. وتُورِد المعاجم اللغوية معاني كثيرة لكلمة "قيمة"، وجمعها قِيَم، وأصلها من الجذر (قَوَم) يُشتق منه على سبيل المثال: (تقويم/تقييم/قيام/قيَم..)، وأقربها إلى معنى القيمة هو الثّبات، والدّوام، والاستمرار على الشّيء⁽¹⁾. أمّا اصطلاحًا: فقد ورد في المعجم التربويّ أنّها مبادئ أو خاصيات مهمة في الإدراك، تساعد على تحديد ما إذا كانت الموضوعات والمواقف والصفات الإنسانية والقرارات مرغوبة أو مذمومة، مفيدة أو غير مفيدة⁽²⁾، وذلك استنادًا إلى اعتبارات ثقافية أو اجتماعيّة، وهي بشكل عامّ مُوجّهات للسلوك والعمل.

فالقيم من هذه الزاوية التعريفية: "أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية، يتشربها الفرد ويحكم بها، وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه، وتؤثر في تعلمه؛ فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه. وتختلف القيم باختلاف المجتمعات، بل والجماعات الصغيرة"⁽³⁾. وتلك القيم خصائص يتمثل أبرزها -كما ذكر الصمدي (2003م)- في ثلاث خصائص هي: العالمية (والإنسانية)، والتكيف، والاستمرار⁽⁴⁾. وننوه في البداية إلى أن مصطلح "القيمة" تربوي حديث، ولم يرد استخدامه

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ق و م).

(2) المعجم التربوي، إعداد: فريدة شنان ومصطفى هجرسي، الجزائر: المركز الوطني للوثائق التربوية، 2009، ص 140.

(3) ينظر: زيدان، محمد مصطفى: معجم المصطلحات النفسية والتربوية، المملكة العربية السعودية: دار الشروق، ط1، 1979، ص7.

(4) الصمدي، خالد: القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2003، ص14.

في التراث العربي الإسلامي أو مصطلحات التربية وآدابها في الكتب والقواميس والمراجع المعتمدة، حال كثير من المصطلحات المستحدثة، وعادةً ما تكون مرادفاتاً دائرة على معنى: المثل، والمبادئ، والنواميس، والأعراف، والعهود، والآداب.

ولعل القيم بالمعنى المعاصر قد دخلت قواميسنا العربية ودارت على مكوّنين أساسيين هما: المكون السلوكي/الإنساني، والمكون الأخلاقي. وهناك من يعرفها كالآتي: "هي عبارة عن مكوّن نفسي معرفي عقلي وجداني أدائي، يوجه السلوك ويدفعه، ولكنه إلهي المصدر ويهدف إلى إرضاء الله تعالى" ⁽¹⁾، وهي في تعريف أكثر تجريدًا وشمولية: "مقاييس تحكم على الأفكار، والأشخاص، والأشياء، والأفعال، والموضوعات، والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها، وقيمتها، والرغبة فيها، أو من حيث سوءها وكرهيتها وعدم الرغبة فيها، أو منزلة معينة بين هذين الحدين" ⁽²⁾.

وعلى هذا التنوع في التعريفات، وبالنظر إلى خصوصية ثقافتنا العربية، نرى القيم مصطلحًا يحده الإطار الأخلاقي أولًا ثم الإنساني ثانيًا، ثم يأتي الإطاران الحضاري والفلسفي اللذان يتضمنان أصول التربية العربية من منظور عربي وسلّم القيم "المحافظة" في هذه الثقافة وتميُّزها عن غيرها من الثقافات بأنها تراعي الأعراف الاجتماعية والتربوية، وقد يقع بينهما تمازج واتحاد بحيث يؤديان دورًا مهمًّا جدًّا في تكوين القيم السائدة التي يتلقاها الطفل في صباه.

ويبقى للقيم بالمعنى العربي والمعنى الإنساني المعاصر قاسم مشترك عمومًا يرجعان إليه هو: رمزية المرأة كما حدد الدكتور ماجد زكي الجلاّد ⁽³⁾،

(1) فرحان، أسحاق وتوفيق مرعي: اتجاهات المعلمين في الأردن نحو القيم الإسلامية في مجال العقائد والعبادات والمعاملات كما حددها الإمام البيهقي: مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد44، عدد 2، 1988، ص99.

(2) الكيلاني ماجد عرسان: ، فلسفة التربية الإسلامية، جدة: دار المنارة، مج1، ط1، 1989، ص299.

(3) الجلاّد، ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، العراق: دار المسيرة، ط1، 2005، ص7.

ولتمثيل ذلك، فهو يذَّكر بحديث ذي صبغة تربوية يُروى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما أوصى أن تدعو الله إذا وقفت أمام المرأة، فتقول: "اللهم كما حسَّنت خُلقي فحسن خُلقي"، فكأنما المرأة صورة لك في هيئتك الجسمانية، تحمد الله على ما وهبك من جمال في تلك الهيئة وتشكره على ما أبدعه في خلقك، في لون شعرك، وفي جمال عينيَّك. وأما مرآة الروح والنفس، فهي مرآتك الثانية، تلك التي تتمثل في قيمك وتربيتك وسلوكك الحسن بين الناس، وما تبثه من كلام طيب، وما تفيض به من معاني المحبة، والتفائل، والصدق، والنصيحة، ولذلك فنحن بمرأتين: واحدة تعكس صورتنا الخارجية، وأخرى تظهر في سلوكنا، وكلامنا، وأفعالنا على حدِّ تمثيل الجلال (1).

ولا شك أن تعلُّم القيم وتعليمها مدار بحث كثير من الدراسات والبحوث، وهو مجال اشتغال كثير من الفلاسفات والنظريات الاجتماعية، وحولها يدور نقاش طويل بين المختصين في شتى المجالات، وما يهمنا هو صلة الحكاية الشعبية بها، وصلتها بفاعلية القَصِّ؛ حيث إنها تعد من الوسائط التعليمية والتربوية، لا يجادل في ذلك مجادل، وطالما أن أكبر تحدٍّ نواجهه في تربية الجيل القادم من الأطفال والمراهقين هو: كيفية إعدادهم ليكونوا في أفضل تربية واستقامة، وكيف يكونون مخلصين لوطنهم ولشعبهم، وكيف ينفتحون على عالم الإنسان الواسع بشخصيات قوية، ومُثُل صحيحة، ومعارف جديدة، وشوق إلى الاكتشاف، وكيف يعيشون حيواتهم سعداء، في إطارها الأسري الضيق، أو في مجتمعهم، وفي علاقات متعددة ومتنوعة، وكيف يقدرُّون العلم وتأبى أنفسهم الجهل، وكيف يقبح في أعينهم الاستعباد، وترتفع في نفوسهم الفضائل الإنسانية والقيم الخالدة التي لا يختلف فيها اثنان من بني البشر.

(1) المرجع نفسه، ص 7.

أ- مفهوم القيم (values) ومحدداتها الحكائية:

في الاستعمال القديم، يكون مدار "القيمة" معاني: الديمومة، والثبات، والسياسة، والرعاية، والصالح، والاستقامة كما تبين سابقاً⁽¹⁾، ويصعب انطلاقاً من هذه المواد الاشتقاقية الوقوف على ما يقترب من الدلالة الاصطلاحية التي نرمي إليها في صلة بالحكاية أساساً؛ فالقضية القيمية حديثة المنشأ، شائكة المسالك، كثيرة التفرعات بحسب الدكتور الجلال، "تضرب بجذورها التاريخية إلى ما يزيد عن ألف وخمسمائة سنة، بورودها في نقاشات الفلسفة. وبقيت منذ ذلك الحين مناط اهتمام أجيال من المفكرين والكتاب تنظيراً وتأطيراً، حيث إن القيم محط أنظار الإنسانية المثقفة العالمية، ومنطلق تفكيرها في صلة المثل القيمية التي نحملها، وهي من طبيعة مجردة بالحياة العملية والظواهر المادية في حياتنا"⁽²⁾.

ومن هنا نفهم أن للقيمة بُعداً تجريدياً يميز بينها وبين سائر الكلمات الحسية أو التي تحيل على عالمنا الواقعي، ومع ذلك، وجد الدارسون صعوبة في تعريف المفهوم وتدقيق معناه عندما يتصل بالفن القصصي، وتنازعهم تصورات شتى وفرقت بينهم السبل في تعريف القيمة، سواء في شكل سردي أو مستقلة، فهل (القيمة) "معايير مرادفة للثقافة في كليتها"⁽³⁾، وهي كذلك (القيم)؛ "اهتمامات ورغبات غير ملزمة"⁽⁴⁾، أو أنها "نشاطات وخبرات.."، أو أنها ليست سوى: "معايير عقلية ضرورية يقوم على أساسها الفن، والعلم، والأخلاق"⁽⁵⁾. ومن هنا يمكن أن نقرب إلى حضور القيم في الفن (الحكائي) والقصصي، ويردّ الجلال منبع الاختلاف في التعريفات إلى تنوع روافد الدارسين من جهة، وإلى

(1) ابن منظور لسان العرب (قوم/قيم).

(2) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 7.

(3) زاهر، ضياء: القيم في العمليّة التربوية، القاهرة: مؤسسة الخليج، 1984، ص 10.

(4) (Beck ; 1990, p2)

(5) دياب، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية، بيروت: دار النهضة العربية، ط2، 1980، ص16.

انفتاح مفهوم (القيمة) على أبعاد فكرية، وفلسفية، واجتماعية، وإيديولوجية، وأدبية من جهة أخرى، فيقول: "نحن عندما نتحدث عن القيم، فإننا نطلق من ثقافة معينة تنتظم القيم في سلوكها، وتدور في دوائرها؛ ضمن الرؤى التربوية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، تُعدّ كلها أصولًا فكرية تحكم تفاعلنا مع القضية القيمية"⁽¹⁾.

ويحدّد الدكتور الجلال مخرجًا لمشكلة المفهوم مستقلاًّ بعرض إحالات اصطلاحية تدخل جميعها في تعريفه وشرحه، ومن المعاني المجتمعة يمكن أن نقف على الآتي⁽²⁾:

- النظر إلى القيم بوصفها تعني معايير للحكم "العقلاني" الراشد على الأمر (الشيء/الموقف/الكره/السلوك) بالحسن أو القبح.

- النظر إلى القيم بوصفها وسيلة اختيار للمقارنة أو المفاضلة بين الأشياء، مصدرها الخبرات الإنسانية في الحياة أساسًا؛ أي إن مُتمثل قيمة ينظر من زاويتها ليتمكن الحكم على المواقف، والرؤى، والاختيارات في الحياة وفي سائر أنماط السلوك الإنساني التي يعايشها مستعيدًا تجارب سابقة في ذلك.

- النظر إلى القيم بوصفها حاجات، ودوافع، واهتمامات إنسانية ترتبط بالفرد، وحسب دياب⁽³⁾ : "مجموعة من التفضيلات المبنية على شعور الإنسان باللذة والألم، وهذان يُعدّان المحك الرئيس للحكم على القيم وتكوّنها، فتمسك الإنسان بالقيم منوط إما بتحقيق لذة، أو بدفع ألم، أمّا ما سوى ذلك، فيكون عديم القيمة على الإطلاق"، وهو موقف يتمسك به من الغربيين مورييس الذي وصف القيم بأنها: علم السلوك التفضيلي⁽⁴⁾.

(1) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ص 20.

(3) دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 21.

(4) المرجع نفسه، ص 21.

وننوه إلى أن التصنيف المعتمد للقيم في هذه الدراسة يستفيد مما ذكر سابقاً ومما قدمه روكتش (Rockeach): وهو من أكثر التصنيفات وضوحاً وبسراً في التطبيق على التراث الأدبي، فقد شدد على نوعين منها: القيم الوسيطة (Mediator values)، والقيم الغائية أو النهائية (terminal values) ⁽¹⁾. وهذان المصطلحان سيتكرر إيرادهما في غضون الدراسة التطبيقية؛ لأنهما شاملان للقيم جميعاً ويوضحان الرؤية في كيفية دراستها في الحكاية الشعبية.

وأما المعاني التي أوردها الدكتور الجلاذ، فيمكن لنا من جهتنا ترجيح ما يقترب منها من معنى القيم في صورتها الأشمل، مما يبعد بنا عن إدراكها من زاوية واحدة، ويخدم غايتنا من هذه الدراسة، مع أن الاحتمالات الثلاثة التي أوردها سابقاً تعبر عن مواقف كُتّاب وأعلام في شتى اللغات والثقافات من القيم تضيء جوانب متشابكة من القيم في تكوينها الأولي، ومن هنا فإن أصحاب الرأي الأول الذي يُعَدّ القيم من معايير العقل؛ يحكم من خلالها على المعاني والأشياء بالحسن أو القبح، وكذلك الفريق الثاني الذي يُعَدّها خلاصة تجارب إنسانية انتهت إلينا بالمراكمة التاريخية أو الموقف الثالث الذي يراها من معايير المفاضلة الشعورية التي مصدرها الوجدان - جميعها مواقف متكاملة في الحقيقة تستحق الوقوف عليها لتأملها والتفكير فيها وأخذها بعين الاعتبار مجتمعةً عند دراسة الحكايات الشعبية.

فبالقياس إلى أن القيم تساعدنا على اتخاذ المواقف الأفضل في حياتنا، إما من زاوية تحكيم العقل، أو بوصفها أحكاماً جاهزة تستند إلى الشعور الفطري والوجدان وتستلهم تجارب السابقين، فإن الجامع بينها أنها جملة من

(1) الجلاذ، تعلم القيم وتعليمها، ص 210.

الأحكام والمقاييس الأخلاقية والمعايير الاجتماعية والنفسية التي تعمل مرشدًا عامًا للسلوك وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفرد عند صنعه لقراره وأفعاله، استنادًا إلى سلم أخلاقي وتربوي معلوم، يتعلمه منذ صباه ⁽¹⁾ ، وأما تعليل القيم بأنها نتيجة دوافع نفسية وشعورية وغرائزية فقط، وهو اتجاه علماء النفس الاجتماعي، فمسألة تُناقش ولا شك ولا يمكن التسليم بها، فهم ينظرون إلى القيم الاجتماعية (group values) بوصفها متميزة عن القيم الفردية (individual values)، وليست بالضرورة متواصلة بها على الدوام، وهم يعرّفون الحاجة بأنها: إحساس الفرد بفقد شيء ما، منشؤها داخلي (عائد إلى عوامل نقص ذاتية) أو خارجي (منشؤه المجتمع نفسه)، ولذلك عدّ ماسلو (maslow) أن القيمة مكافئة للحاجة ومساوية لها ⁽²⁾ .

إن كثيرًا من العلماء يفرقون في الواقع بين الحاجة والقيمة (values and need) كما يفرقون بين الدافع والقيمة (values and motives)، وقد رأينا الفرق ما بين الأوّلين. فأما الدافع، فهو كما يعرفه الجلاّد: "حاجة شعورية تدفع الكائن نحو هدف معين، فيتحقق بذلك الهدف معنى القيمة المحددة للسلوك الإنساني" ⁽³⁾ . ومعنى ذلك أن ما يوجه سلوكنا الواقعي هو القيمة أساسًا، وما الدوافع إلا وسائط إلى ذلك، وكأن القيمة أيضًا: نظام توجيه السلوك، وهي ما يخلق فينا الدوافع للحركة، والفعل، والتصرف، والقول، فمثلًا ما الذي يدفع الإنسان ليكون أميًّا، ويحمّله على إيصال الأمانة إلى صاحبها، والحرص على ذلك وتكبد مشاق السفر أو الصبر أو غير ذلك من الأعمال الوسيطة، يفعل ذلك بالتضحية، والاهتمام، والعزم، وبدافع داخلي؟ إنه يفعل ذلك لأن القيمة التي

(1) هو اتجاه هالستيد (1996 / halstead)، ص 5.

(2) الجلاّد، تعلم القيم وتعليمها، ص 22.

(3) المرجع نفسه، ص 21.

يحملها في داخله أقوى محددات التفكير وأعلى أصوات الضمير، فهي -تلك القيمة- التي تخلق الهمة لتحقيقها أو ما نسميه دوافع من أجل الفعل، ومن أنصار هذا التفكير: بري (perry) الذي يرى أن "القيمة اهتمام قبل كل شيء"⁽¹⁾ ، إلّا إذا كان الشيء موضع اهتمام، فإنه يكتسب قيمة ولا شكّ، ومع ذلك، فرّق العلماء بين (القيمة والاهتمام) و(القيمة والاتجاه)، وهي ثنائيات متصلة وملتبسة، من خلال هذه المؤشرات:

- **الاهتمام (interest):** هو ميل الإنسان إلى أمور يحبها، أو أشياء يفضلها أو يشعر بجاذبية نحوها، بينما القيمة، التي يمكن أن تكون مستقلة (مثلاً) أو في الأشياء ذاتها، (ذات قيمة)، فهي: غايات يسعى إليها البشر لها خلفية أخلاقية أو اجتماعية أو تربوية، فالاهتمام هو وجه من وجوه القيمة ولكنه لا يمثلها، وربما يكون أول خطوة ليولّد عندنا الحافز لتحقيقها، وأظن أن الحكاية هي من محفزات الاهتمام بالقيمة؛ ولذلك تدخل مباشرة في قوانين التربية ووسائلها من هذا الباب النفسي؛ أي من باب الاهتمام، ولكن تدخل أيضاً في باب الاتجاه (attitude) فتكون فاعليتها أعلى.

- **الاتجاه (attitude):** يتولد مرتبطاً بالقيمة، ولكنه مباين لها بحسب دراسات كثيرة عرّفت الاتجاه تعريفات مختلفة، أقرب إلى إستراتيجيات الفعل الناتج عن اقتناع معين، وهي إستراتيجيات ثلاث أو مكونات ثلاثة للفعل، تتولد عندما تتمكن منّا قناعة ما أو قيمة ما:

● المكون المعرفي

(1) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 23.

● المكون الوجداني

● المكون السلوكي

وهذه المكونات الثلاثة التي تنشأ في سلوكنا عندما نتجه إلى تحقيق غايةٍ ما يجب أن نمزج بينها وبين القيمة التي هي من طبيعة تجريدية، إذا تعلّق الأمر بالقيم الأخلاقية والتربوية، ويمكن من خلال الحكايات التطبيقية أن نميز بينهما. ولنأخذ مثالًا سريعًا على ذلك: شخصية بطل في حكاية "أنتيف أنتيفان" تأخذ قرارًا بمساعدة الإخوة مع أنهم لا يستحقون ذلك وكانوا محتقرين له، فتتولد في الشخصية اتجاهات معينة لتحقيق تلك الغاية:

● **اتجاه (مكون) معرفي:** هو الاقتناع بأن مساعدة الآخر، وخاصة القريب، واجب إنساني، ويجب أن يرقى على الخلاف الوقتي.

● **الاتجاه الوجداني:** الصفح والمغفرة، ثم إشفاق على الإخوة ثم الرحمة بهم، وهي مشاعر تتلبس الشخص وتقذح أفعاله، وتدفعه إلى التفكير في آلية الوصول إلى الغاية، وهي مساعدة الإخوة.

● **الاتجاه السلوكي:** السعي الفعلي في المساعدة والإنقاذ وما يتطلبه الهدف من توضّيات.

ولعلنا من خلال هذا المثال نكتشف أن القيمة التي تقف بعيدًا عن سطح الأحداث (مساعدة ذوي القربى من الإخوة)، هي قوة الفعل وليست الأفعال أو الاتجاهات التي تولدت في سلوك الشخصية، ومن هنا نتساءل: أليست تلك السلوكيات هي أجمل ما قدم، ولا تقل جدوى وفاعليّة وتأثيرًا عن القيمة ذاتها؟⁽¹⁾ في الحقيقة هذا سؤال محير ولا شك، فكأننا نكتشف أن الاتجاه في نفس مرتبة

(1) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 23 وما بعدها.

القيمة، بل كل ذلك من خلال المثال السابق من جميل الأفعال الإنسانية، ولذلك فالمثال قد لا يعبر عن الفروق الكلية بين الاتجاه والقيمة، خاصة إذا أخذنا مثالاً آخر سياقه مختلف، والأفعال فيه ليست كلها إيجابية، وهنا نستعير المثال الذي استعمله الجلال، في كتابه تعلّم القيم وتعليمها، وهو مثال سعي شخص إلى الإقلاع عن المخدرات بعد الإدمان عليها، فتنشأ من هذه القناعة لديه ثلاثة مكونات أو اتجاهات سلوكية:

● **المكون المعرفي:** معرفة مضار المخدرات وأنها حرام شرعاً واعتقاده بذلك واقتناعه به.

● **المكون الوجداني:** كراهية المخدرات التي يتولد عند الشخصية اقتناع بمضارها.

● **الاتجاه السلوكي:** الابتعاد عن تعاطي المخدرات ونصح الآخرين بهذا. وفي هذا المثال، تتضح الفوارق بين القيمة واتجاهات الفعل والسلوك التي تتصف بالمرحلية والوقائية، ويمكن أن تحمل نوازع إيجابية أو سلبية، بحسب طبيعة القيمة التي تقف وراءها وتُحرّكها، ولكن الاتجاهات هي المحرّكة للفعل ولا تخرج عن هذا التصور الثلاثي (المعرفي، والوجداني، والسلوكي)، وهي وسائل مفاضلة واختيار واستعداد عقلي ووجداني للفعل، وحالة من التهيؤ النفسي المصاحب للفعل، وأنواع من الاستجابات للموضوع أو القيمة، ويساعدنا فهم هذا الأمر على فهم إستراتيجيات الحكاية الشعبية، وهي تبني الصلة بين القيم التربوية والأخلاقية واتجاهات الشخصيات في الفعل، فهي مدار تحققها، ومن أهم الفروق بينهما: عمومية القيمة وخصوصية الاتجاه، وقد تتضمن القيمة مئات من الاتجاهات الفرعية، وكما يقول بتي (petty): "الاتجاه هو الوحدة الأساسية التي تتكون منها القيمة"، مع أنهما من طبيعة واحدة في الحقيقة، ولكن غايات

القيمة نهائية شاملة رمزية ثابتة، وأمّا غايات الاتجاه فوقتية، ومحدودة، ومتغيرة، وأقل شمولية⁽¹⁾ .

ب- القيمة والإنسان:

يستطيع الإنسان أن يدرك من خلال القيمة الفرق بين الفضيلة والرذيلة، والحسن والسيئ؛ أي ما يستجيب للتعاليم والمبادئ والقيم وما لا يستجيب، أو ما هو مرغوب فيه ومرغوب عنه من منظور تشريعي أو ثقافي أو ديني⁽²⁾ . ويرى بعضهم أن: القيم مصطلح يشمل المعارف التقويمية التي يختارها الفرد ليحكم من خلالها على الأشياء من حيث قيمتها وما يفضل به بعضها بعضاً⁽³⁾ .

وخلاصة القول في تعريف القيم: إنها سر من أسرار الإنسانية الكبرى، وميزة للنفس البشرية تميّزها عن غيرها من المخلوقات، وهي جملة من التصورات والمعارف التي تملأ وجود الإنسان معنى تقويمياً، وتتجسد في علاقاته مع الكون والحياة وبقية الناس، ويتشابك في القيم ما هو معرفي/ثقافي بما هو عرفي/اجتماعي، فيعتنقها الإنسان باختياره دون إجبار، أو يتعلمها عند اتصاله بمن حوله، ومن خلالها تتحدد معايير سلوكه؛ فالصادق لا يسمى صادقاً، متمثلاً قيمة الصدق إلّا إذا برهن من خلال اتجاهاته السلوكية والمعرفية والوجدانية على ذلك، فهي براهين الممارسة الفعلية على ثباته على الصدق وتجسيده لهذه القيمة، ويكون ذلك تنويجاً لتمثله الجيد لوسائل التربية التي تلقاها من مجتمعه وبيئته، ويصبح ذلك مصدر اعتزاز له بهذه الشهادة من المجتمع. وهذه المعاني تجسّدُها الحكايات الشعبية بطريقتها التخيلية في مجتمع افتراضي من صنع المخيلة الشعبية.

(1) العنزي، فريح عويد: المكونات الفرعية للثقة بالنفس والخل -دراسة ارتباطية عاملية-، مجلة العلوم الاجتماعية، مج3، ع 29، 2001، ص47-77.

(2) Kreech a,d ballachay ; 1972/ p 102

(3) عبداللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم- دراسة نفسية-، الكويت: عالم الفكر -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-، 1992، ص48.

وللقيم مجموعة من الخصائص عند ارتباطها بالشخصية الفردية، منها ⁽¹⁾ :

- **الذاتية:** ومعنى ذلك أنها تعكس قناعات الفرد، واهتماماته، وطبيعته، ومواقفه التي تعلّمها ورسخت فيه من خلال انتمائه إلى مجتمعه وهويته الثقافية؛ ولذلك لا تُبنى القيم على التلقين، وإنما يُحبّذ في تعليمها الأسلوب غير المباشر، كتمثّل التجارب الواقعية للناس، أو من خلال رواية القصة والحكاية والمُثّل على أسماع الناشئة، فلا يكون تلقّهم القيم بالإكراه أو الإجبار أو الإلزام، ولا يكون التعويل في المسألة على خطاب وعظي جاف قد لا ينفع كثيرًا في ترسيخ المعاني القيمة في نفوس الأطفال؛ لأنّ مسألة الاقتناع والاختيار مهمة جدًّا في تمثّل القيم وتحويلها من معانٍ نظرية إلى صيغ واقعية يترجمها السلوك والاختيار الحر للمواقف. وحتى لا تفقد تلك القيم بعدها الفردي في الممارسة وتطغى عليها العادة فيخفت بريق تأثيرها في النفوس، وتفقد معناها لدى الفرد ثم في صلب الجماعة، علينا أن نتذكر أن القيم منتج جماعي، ولكن تطبيقها فردي أولًا وأخيرًا، وهذه القاعدة الأساسية كافية وحدها بأن توضح أن مسألة القيم -مهما كان مأتاها ومصدرها- محمولة على عاتق الفرد وحده من ناحية تطبيقية، وبتظافر الإنجاز الفردي في صلب الجماعة أو المجتمع، يكتمل مشهد القيم الاجتماعية في شموليتها وتمثيلها للمجتمع.

- **الإطلاق والنسبية:** إن القيم من حيث اشتراكها في الرافد الثقافي أو المعرفي أو العُرفي هي مطلقة، كما أنها تتصف بالنسبية عندما ترتبط بالإنسان الفرد أو بالظرف في جانبها التطبيقي، ومن هنا، قد يتحور فهمها أو معناها جزئيًّا لدى كل إنسان بحسب ما فهمه منها، وبحسب اقتناعه بها، وبحسب شخصيته وإرادته في الالتزام بها، ولذلك لا يتساوى البشر في موازين القيم التي تبقى

أنموذجًا لكل سلوك، ومعياريًا لكل تصرف، ومثالًا لكل رقي في الروح والنفس، وكذلك تتفاوت أعمال الناس قيمةً وأثرًا، فمنهم الخير الفاضل، ومنهم من هو دون ذلك، ومن هنا فمعرفة أن القيمة نسبية في الواقع معناها أن تنفيذها مرتبط بالفرد دائمًا وبقدرة المجتمع على ترسيخها في أبنائه.

- **التجريد:** القيم معانٍ تجريدية، تتسم بالمثالية والاستقلالية من حيث إنها مفهوم عام يقع في الذهن والشعور بإدراكه، فكأنها خلاصة تجارب واقعية، وعبرة ثابتة، ومغزى مستخلص من تجارب الناس التاريخية والواقعية، ومثال ذلك: قيمة "العدل"، فالمحمول المعنوي في هذا المفهوم ذهني بحت، لا يرتبط بشخص، أو زمان، أو مكان، ومنه تأتي الصفات المشتقة، فنقول: شخص عادل في توزيع ماله على أبنائه مثلًا، أي إنه يتصرف في ثروته بمقتضى هذا المعنى المجرد في ذهنه، فيحرص أن يحقق العدل، ويتحرى القسط والإنصاف، ولا يفرق في العطية بين أبنائه المتساوين في الانتماء إليه ⁽¹⁾.

- **التدرج:** القيم متدرجة من حيث الأهمية ضمن ما يسمى: "السلم القيمي"، في شكل هرمي، وبعضها يهيمن على بعض، والفرد ينشأ وهو يتعلم هذا التدرج بحسب ما يتلقاه من معارف في سنواته الأولى في الحياة، عندما يبدأ وعيه يتشكل، فيتعلم أن للجسد حرمة، وأن كشف العورة مثلًا لا يجوز، وكذلك انكشاف عورة غيره أمامه -على وجه الخطأ- قد يشير خجله الفطري ورغبته في الاحتشام وغض البصر، وهو شيء يعيشه الأطفال في تجاربهم الأولى في الحياة مع معرفة حرمة الجسد، ثم يتعلم أن طاعة الوالدين أمر واجب يجب أن يقتنع به، ويسعى إلى توثيقه بأفعال خيرة تدل على الطاعة. فمن ناحية، هو يُرضي والديه، وكذلك يُرضي ربه، وهو ما يتعلمه الأطفال في بيئتنا العربية الإسلامية

(1) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 31 وما بعدها.

مثلاً، وقد يتعلم غيرهم أن الأولوية في طاعة الوالدين أن نقدم لهم ما يفخرون به، وكذلك المعلم في المدرسة (أو المعلمة) منط تقدير واحترام ومحبة؛ لما يقدمه من تربية ومعرفة، ثم يفهم أن ذلك من مقتضيات "الاستقامة"، فيتدرج فهمه إلى قيمة أعلى من الأولى؛ لأن الاستقامة قيمة تربوية وأخلاقية أشمل من القيم الأولى (الاحترام، التقدير، والطاعة لمن هو أكبر سنًا، ويعلمنا ويحمينا ويرعانا في الحياة). وإذا تدرج الطفل مع سن العمر، علم أن من مقتضى العدل الإلهي أن جعل الناس سواسية في العطاء والمنحة والابتلاء، وهنا نرقى إلى مستوى أعلى من الإدراك، لأنه يدخل في زاوية النظر إلى معنى الوجود كله؛ فالقيم من هذا الجانب إنسانية وخلقية، وتُبنى على تجربة وتُمرس بالحياة، ولا يكفي فيها التلقين وحده؛ بل تتطلب معرفتها والسير على أساسها تجربة الفرد كذلك.

ويتضح من خلال هذه الخصائص العامة التي رصدناها للقيم في جوانبها التربوية، أو الأخلاقية، أو الإنسانية صلتها الوثقى بالتجربة الإنسانية وبمعنى الإنسان الحقيقي الذي يؤازر كينونته وينظم حاجاته الغريزية؛ ولذلك تعطي القيم لحياة الإنسان معنى، وتحمله على نظام في الحياة يحدّ من حريته وحقوقه عندما تبدو له حرية غيره وحقوقه، وتعلمه معنى الواجب وما يجب أن يلتزم به على نقيض ما يجب تركه وتجنبه، فكأن البشر يتمثلون قول الله سبحانه وتعالى وهو يقرر قيمًا عليا أمر بها، ويذكر أن مآل القيم الإيجابية هو الخير الموجود في حياة البشر إزاء الشر: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ⁽¹⁾.

وتتعمق القيم في تربية الفرد فيتعرّفها من خلال أقرب الناس إليه،

ويتعلمها على التدريج من خلال الحكايات التي يسمعها أو من خلال التقليد، وهي في الأصل طبيعة فطرية فيه، فينقلها إلى سلوكه من خلال الممارسة الفعلية، بعد أن يدرك أن مراتب تلك القيم وأبعادها القصوى تمثل جوهر وجوده وإنسانيته، وربما تحدد إيمانه وأفعاله، فبعضها يحميه من طائلة الزمن وعاديات الدهر ومكر الأعداء (العدل/المساواة/الحق والواجب)، وبعضها يقيه من الفتن والشهوات والغرائز المتحكمة في السلوك (القناعة/الاحترام/التوكل على الله/صلة الرحم/الصدق/الأمانة)، وبعضها يقرّبه من الاستقامة من منظور إلهي (التوكل على الله/الصبر/النصيحة للآخر/الإخلاص في الصلة بالله)، وبعضها يُبعده عن هذا الطريق، وإذا بنا من هذه الزاوية نرتقي بالسلم القيمي فننظر إلى الإنسان ممثلاً للبيئة التي ينتمي إليها، والتربية الخاصة التي تلقاها، والنضج الذي حصّله في مراحل النمو المختلفة، ومختلف المعارف التي حصلها، ثم ننظر إلى القيم بوصفها حجر الزاوية في البناء المجتمعي كله بوصف ذلك المجتمع مكوّنًا من أفراد، فالعلاقة جدلية بين الفرد والمجتمع، وبناء الثقافة التي ينتمي إليها الأفراد تبدأ من الفرد وقناعاته في مستوى القيم، ومن هنا فإن حفظ أي مجتمع واستمراره موكول إلى الأفراد أنفسهم. وفي التاريخ شواهد على أن المجتمعات البشرية التي تركت أثرًا وارتقت في سلم الحضارة والتمدن قد نظّمت عملية التربية على أساس قيم واضحة ومعايير أخلاقية محددة، وأما تلك التي داست القيم وتجاهلتها فقد طواها النسيان، كما أن عظماء الإنسانية هم الذين جاهدوا أنفسهم، وقاوموا شهواتهم ورغباتهم الجارفة، فتحكّموا فيها ووجّهوا الإرادة إلى الفعل الجيد الذي يحقق فائدة للناس أجمعين، ولو بكتابة كتاب واحد مفيد لمن يقرؤه، أو بناء سد يرتوي منه الناس عند حاجتهم إلى الماء، أو غرس شجرة لا يأكل هو منها ويأتي من يطعمها بعده بزمان طويل، أو صدقة جارية تحمل لصاحبها

على مَرِّ الزمن دعوات الخير بأكف صادقة متضرعة، لا تنكر جميل من أحسن. فلعل ما حمل هؤلاء العظماء على تلك الأفعال الخيرة في حياتهم القصيرة هو أنهم قد امتلأوا بقيم نبيلة ومثلٍ عُليا، وتشبَّعوا بها منذ طفولتهم، وجسدوها في حياتهم من خلال أفعال ملموسة، أو أقوال مأثورة، أو كتب مسطورة، وتركوا من خلالها أثرًا لمن جاء بعدهم أهم بكثير من تركهم مالا أو أبناء فيهم الصالح والطالح، أو غير ذلك من متاع الدنيا. والخلاصة: إن القيم تسهم بدور فعال في حياة الطفل لأنها بمثابة معايير يقاس بها العمل، وتوجّه الطفل إلى القدرة على التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ، والحسن والقبيح، وتساعد القيم على التنبؤ بسلوك صاحبها؛ فمتى عرفت ما لدى شخصٍ ما من قيم، استطعت أن تتنبأ بما سيكون عليه سلوكه في المواقف المختلفة. ونظرًا إلى تأثير القيم في السلوك، فإن القيم تكون جزءًا لا يستهان به من الإطار المرجعي للسلوك، ومن ثَمَّ تُستخدم كمعيار للحكم على هذا السلوك.

ج- سَلَمُ القيم:

لقد عرض دياب (1980) سَلَمًا للقيم هو بمثابة تصنيف لها، استقاه من كتابات الفلاسفة ومن بحوث بعض الكتاب المعاصرين، وأغنانا بذلك عن بحث شاق عن مثل هذه التصنيفات، وهي تفيد في فهم توزيعها على خريطة الأدب الإنساني والحكايات الشعبية تحديدًا؛ لَيْسَ هُناك تبُّعها من خلال الدراسة التطبيقية على الحكايات الشعبية الإماراتية بعد ذلك، وينقسم سَلَمُ القيم إلى معايير ننظر من خلالها إلى القيمة، وهي ستة ⁽¹⁾:

- معيار محتوى القيمة (dimention of content)

(1) دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص 110.

- معيار المقصد من القيمة (dimention of intent)
- معيار الالتزام بالقيمة (dimention of intensity)
- معيار شمولية القيمة (dimention)
- معيار وضوح القيمة (dimention of clarity)
- معيار دوام القيمة (dimention of permanency)

فأما معيار محتوى القيمة (dimention of content)، فهو مضمونها ومحتواها، وقد أخذه دياب عن عالم النفس الألماني سبرانجر (spranger) عندما تحدّث عنه في كتابه أنماط الرجال (types of man)، الذي قسّم فيه الناس إلى أنواع بحسب سلوكياتهم وأنماط القيم التي يحملونها في وجدانهم وعقولهم. وعمومًا، لا تخرج القيم في حسابه عن: قيم نظرية (theoretical) - وقيم اقتصادية (economic) - وقيم جمالية (ethics) - وقيم اجتماعية (social) - وقيم سياسية (poletic) - وقيم ثقافية (religios) . ومن هنا، يقول سبرانجر إننا عندما نصف شخصًا بأنه كائن "اجتماعي" مثلاً⁽³⁾، فإننا نعني أنه متأثر أساسًا بالقيم الاجتماعية، مع وجود تأثير القيم الأخرى بأقل درجة فيه، وعندما نصف شخصًا آخر بأنه "رجل اقتصاد"، أو أنه كائن "متفلسف" في الحياة، أو أنه ينتمي إلى نمط الرجال السياسيين العمليين، أو غير ذلك من الأنماط، نكون قد نظرنا إليه من زاوية القيم الأكثر تأثيرًا فيه حتى أعطته تلك الهوية؛ ولذلك نسعى من خلال دراسة الحكايات الشعبية إلى معرفة أنماط القيم الغالبة عليها، لنعرف بعد ذلك بما تأثر به أطفال الإمارات من سلفهم وأجدادهم وآبائهم، وأي القيم وجهت سلوكهم وساهمت في الرقي بتربيتهم، ثم يفتح بعد ذلك باب التفكير في تطوير سلم القيم بما يلائم خططنا المستقبلية في التربية.

(1) دسرانجر (spranger)، أنماط الرجال (types of man)، ينظر: دياب (القيم والعادات الاجتماعية)، ص 124.

وأما القيم من حيث كونها مقصدية، (مقياس المقصد من القيمة (dimention of intent))، فمعنى ذلك أنها ليست مقصودة لذاتها، وإنما يؤول تحقيقها إلى وسائل وغايات كبرى، وقد يصعب التمييز بين الوسائل والغايات لما بينهما من تداخل، مثل طلب العلم، فهذه قيمة في حدّ ذاتها، ولكن من الوارد أن تؤدي إلى تحقيق مقصد أعلى هو السعادة في الحياة، أو معرفة العالم أسرار الحياة، فإذا بالمقصد ذاته قيمة جديدة أعلى من الأولى شأنًا وأكثر أهمية.

وأما المقصود من إلزامية القيمة (dimention of intensity) فهو مقدار شدتها وإصرار الناس عليها وما يعطونه من أهمية لتلك القيمة؛ لأن شدة القيم في وعي الناس متفاوتة، ومثال ذلك أن "عدم غش الآخر" قيمة شديدة التأثير في السلوك الاجتماعي؛ لأنها في الأساس قيمة أخلاقية، أما وضع الفضلات في مكانها من حاويات أو غير ذلك والالتزام بإخراجها في وقت محدد مثلًا حرصًا على النظافة، فالناس متفاوتون في هذا الأمر، بل إن شعوب العالم تتفاوت في النظر إلى الطبيعة والبيئة لتدخل عوامل كثيرة في هذه المسألة بين من لا يُعيرها انتباهًا، ومن يبالغ في الاهتمام بها ويعتبر ذلك سلوكًا يوميًا يتعلمه الإنسان كما يتعلم تحية الصباح، وطاعة الوالدين، وغسل الأسنان، وقد يعود السبب إلى اختلاف الثقافات، وملامح البيئة، وشكل الحياة نفسها بين حضري وريفي، وغير ذلك من العوامل، وأيًا يكن الأمر، فكلّ قيمة (إذا جاز التعبير) بحسب تنوع المجتمعات واختلاف سُلّمها القيمي.

ومن حيث الإلزامية، تنقسم القيم إلى: ضرورية، وتفضيلية، ومثالية؛ فالأولى مُلزمة لسلوك الأفراد لأنها مقيدة بنواهٍ وأوامر منصوص عليها؛ أي مقيدة بجزاء أو عقاب، ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

سَمِيعًا بَصِيرًا⁽¹⁾ .

والثانية غير ملزمة، بل تفضيلية؛ أي يحبَّذ أن يأتيها الإنسان، ولكن لا يترتب على تركها جزاء أو عقاب، ولا ترتبط بالفرض، بل هي على سبيل التخيير، وأكثر أعمال البشر من هذا النوع، فمثلاً: إكرام الضيف قد يتفاوت الناس فيه، ولكن مَنْ يفعله يَكُنْ قد حَصَلَ شَرْقًا، وارتقى بسمعته وأصاب منزلة بين الناس، وكذلك الإحسان إلى الجار ومساعدة ذوي الحاجات العضوية، وإنقاذ حيوان من الانقراض أو الأذية، وسُقيا شجرة في الطريق، وكلمة طيبة أو ابتسامة وقول حسن لمن لا نعرف، وتواضع في الجلوس والكلام، وإفساح الطريق، وغير ذلك من الأمور البسيطة ولكنها مهمة في حياتنا، وغير ذلك من الأعمال الإنسانية الفاضلة الكبيرة مثل التعاون بين الشعوب والدول.

أما القيم المثالية فهي غير ملزمة، ولكنها أعلى درجة من قيم الفضيلة اليومية، إنها تتعلق بالإيثار والتضحية في سبيل الوطن والشعب، والزهد في الدنيا على سبيل معرفة الله أو العلم، وبذل المال لذوي الحاجات دون حساب أو خشية فقر، بل الشهادة في سبيل الأمة أو الوطن والتفاني في عمل لا يكون مجزيًا ماديًا، ولكن لأجل تحقيق مصلحة عامة لجميع الناس، وغير ذلك مما شابه من الأعمال، فهو من قبيل القيم المثالية التي تجعل بعض الناس في مكانة خاصة في قلوب غيرهم من أبناء جيلهم أو ممن يلونهم.

وأما شمولية القيمة فهي النظر إليها: من حيث إنها قيم شائعة منتشرة أم منحصرة في سلوك أفراد قليل عددهم، وهل ترتبط بزمان طويل، أم زمان مخصوص ومواعيد محددة؟

أما وضوح القيمة فبالنظر إليها: هل هي واضحة في سلوك الناس، أم

(1) سورة النساء، الآية 58.

ضمنية يُستدل عليها بمؤشرات خفية وتأمل وتدبر، وفي كثير من الأحيان قد تختفي قيمة وراء أخرى ليست أعمق منها أو أكثر فائدة، ومن ذلك أن قيمة حب الحقيقة لا تكون واضحة في سائر أصناف السلوك الإنساني إلا لعين متبصرة، وهي أرقى أنواع القيم الإنسانية وأجملها تعبيراً عن جوهر الكائن، ومثلها قيمة الإيثار والتواضع والرحمة وعشق الجمال والأنفة والكبرياء الإيجابي وليس التكبر، ومحبة الجمال في الطبيعة، والحرص على فهم التفاصيل في المخلوقات والكائنات، والاستعداد للتضحية، فهذه أنبل القيم الإنسانية وأكثرها تخفياً في سلوك البشر، ولا يمكن إلا أن تكون أصيلة وغير مفتعلة، وإلا سقطت من حساب القيم الحقيقة العالية الرتب والمكانة.

وأما دوام القيمة فبالنظر إليها: هل هي قيمة عابرة في سلوك الفرد أو المجتمع، أم هي قيمة ثابتة ودائمة في سلوك جماعة كبيرة من الأفراد؟ والنوع الثاني هو الأهم من منظور الدراسين، وهذا معيار جيد وعملي في معرفة مدى ارتباط القيمة بهوية مجتمع ما.

الفصل الثاني

القيم التربوية والأخلاقية
في الحكايات الشعبية الإماراتية

1- القيم الإنسانية والأخلاقية في الحكايات الشعبية الإماراتية

طالما أن القيم هي : جملة المقاصد التي يسعى قومٌ ما إلى إحقاقها وتقريرها في سلوك الأفراد عملياً؛ لاقتناعهم بأن فيها صلاحهم عاجلاً أو آجلاً، وفيها هويتهم المشتركة وضمن وحدتهم ⁽¹⁾ ، فيمكن أن نطلبها في الحكايات الشعبية عياناً من خلال النسق السردي/الروائي، وعلى رأسها جميعاً تأتي القيم الأخلاقية والإنسانية التي لا ينفصل بعضها عن بعض لدى سائر الشعوب، ولا خلاف أنها من المشترك الثقافي بين الأمم، غير أن البعد الأخلاقي شامل لهذا الصنف ومهيمن على غايته ومقاصده، ولعل كثيراً منها صنو ما نجده في كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع وفي غير ذلك من المدونات (الحكاية) القديمة للشعوب؛ لاتصافها بالقرب من الحياة الإنسانية ومن التجارب اليومية البسيطة التي يتم إعطاؤها بُعداً أخلاقياً ثابتاً، ولذلك هي في صدارة الاهتمام عند جميع الدارسين مهما اختلفت لغاتهم ورؤاهم. وتأتي على رأس هذه الثوابت الإنسانية والأخلاقية قيمٌ في ثنائيات ضدية، بحيث لا يمكن استحضار إحداها إلّا وما يقابلها في الذهن حاضر، من قبيل:

{المحبة ونقيضها الكراهية/الصدق ونقيضه الكذب/الأمانة ونقيضها الخيانة/الحق ونقيضه الباطل/السعادة ونقيضها البؤس والتعاسة/الذكاء ونقيضه الحمق والغباء/الحيطة والحذر في مقابل الغفلة/الأمل في مقابل اليأس}.

(1) تمت الإشارة في القسم الأول أن القيم مُفردتها قيمة، وترتبط لغوياً بمادة قَوَمَ التي تمتلك عدّة دلالات منها قيمة الشيء وثمنه، والثبات والدوام، والاستقامة والاعتدال، ونظام الأمر وعماده. وأقربها لمعنى القيمة هو: الثبات والدوام والاستمرار على الشيء. أمّا اصطلاحاً فقد ورد في القاموس التربوي بأنها صفات ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية، وهي بشكل عامّ موجهات للسلوك والعمل. / انظر الفصل الاول من الدراسة.

وهذه القيم تُعدّ تأسيسية في الاجتماع الإنساني، ونسعى إلى تحليلها وسبر أغوارها من خلال بعض الحكايات الشعبية الإماراتية الموجهة للطفل الإماراتي، والملاحظ أنه قد تجتمع في الحكاية الواحدة قيم كثيرة لتثبيتها، أو تكتفي بالتركيز على ثنائية منها فقط، وفي كلّها نسعى إلى تبين مدى الترابط بين البعد الإنساني للقيم ونسيجها الفني والأدبي، ونبدأ بالثنائية الأكثر تداولاً في الحكايات الشعبية الإماراتية بحسب ما تمت ملاحظته:

أ- الصدق ونقيضه (الكذب) وما يتفرع عنهما من قيم:

لعل قيمة "الصدق" من أكثر ثوابت الإنسانية شيوعاً بين الأمم والجماعات والأفراد، طالما أن للحقيقة وجهاً واحداً لا يجوز تزييفه أو تشويهه، وجميع تعاليم السماء ورسائل الأنبياء تُقرّ هذا المبدأ وتلجّ عليه، فتجعل الخير صنو الحق الذي تنقاد إليه الفطرة انقياداً، كأنما تقتبسه من صورة مثالية للوجود في نشأته الأولى، أو تستوحيه من الفطرة الإنسانية السليمة؛ ولذلك فالطفل إذا كان قد تلقى تربية صحيحة، فإن نفسه تميل إلى قول الحقيقة لا إلى الكذب، وهو تزوير الحقيقة وطمسها وإخفاؤها، وكأنما تلك الفطرة السليمة تميل إلى معنى الانسجام في الكون والعلاقات الإنسانية على أساس مطابقة القول للفعل أو مطابقته للحال الموصوفة (adequation)، وهو مفهوم الحقيقة في بعده الفلسفي القديم كذلك عند أفلاطون والفلاسفة العرب⁽¹⁾، ومن هنا كان الصدق رداء الحقيقة والكذب رداء الزيف والبهتان والخديعة. ويُقرّ الدارسون أن كشف الغطاء عن الحقيقة في المآل الإنساني مسألة وقت، ليعود التوازن الضروري إلى إحساس الإنسان بتناسق الكون وتناسق معانيه.

(1) المطابقة، تعني الحقيقة أو الإقتراب من الحقيقة في تصور العلماء قديماً وكذلك حديثاً (adequation)، وفي تراثنا العربي: تجمع كتابات الفلاسفة والحكماء على شد الحقيقة اليقينية إلى هذا المبدأ، وهو الاتجاه الغالب على العلوم الحديثة كذلك، حتى صار مبدأ علمياً يستمولوجياً، لا ينفي نسبية الحقيقة ولكن يقر السعي إليها، ويعود التصور في أصل نشأته إلى أفلاطون (347)، ومعناه أن يسلم الوجود من التشويه والزيف وتخلص الحقيقة عن الأشياء من الوهم وسوء الفهم، ويرتقي الوعي الإنساني بالوجود إلى مستوى التطابق مع طبيعته.

ويؤكد هذا المعنى ما هو شائع حتى بين عوام الناس من أن "حبل الكذب قصير"، وأن الحقيقة لا بد أن تظهر ولو بعد حين من الدهر، وكأنما هي سُنّة استنّها الله للناس، وجعلها معياراً لنصرة الحق وإزهاق الباطل وردّ المظالم، ولو بتقادم الدهر.

وتجسّد حكاية "كنا كنا" ⁽¹⁾ هذا المعنى الإنساني العظيم، وتؤكد هذا التصور بوسائل الحكاية التشويقية البسيطة الرائقة، وهي حكاية زوج وزوجة حلّ بفنائهما طائر جميل عطفاً عليه ورّياه وتعلّقاً به، وكان فأل خير عليهما ومجلبة للرزق، وهو تصور عربي أصيل، له علاقة بالثقافة العربية القديمة في تفاؤلها أو تطيُّرها بحركات الطيور.

ولكن الزوج يسافر مرّة، ويجد الطائر فسحةً للهروب من قفصه فيهرب، وتتألم الزوجة المسكينة لهذا الفقد، وتخبر زوجها حين عودته فيتألم كذلك، ويسعى إلى البحث عن الطائر ولكن دون جدوى، إلى أن يجده يوماً عند تاجر هندي، فيواجهه بحقيقة أنه صاحب ذلك الطائر الجميل، ولكن التاجر يكذب ويصّرّ على أنه طائره منذ زمن بعيد، فيتحاكمان إلى القاضي الذي اختبر كليهما بحديث إلى الطائر، وهنا تظهر الحقيقة، ويستجيب الطير لصاحبه، فيكرر متلازمة شعبية معروفة في الدارجة الإماراتية "كنا كنا" ولها مغزى (يُنظر في الحكاية في الملاحق، وفي مصدره) ⁽²⁾، ويتضح صدق الرجل وكذب التاجر، وينقشع الزيف وتعود إلى المعاني قيمتها وإلى الحقيقة بريقها، ويُقرّر السلطان العدل فيُرجعه إلى صاحبه.

ومن الواضح أن الوجدان الشعبي يميل إلى إقرار هذه الفضيلة فيرسّخها في شعور الطفل من خلال فاعلية الحكى المشوقة، ومن خلال الأحداث الواقعية

(1) تينظر الحكاية في الملاحق.

(2) د عبدالعزيز المسلم (حكاية شعبية من الإمارات) قصة للأطفال - 2013.

التي يتقبلها إدراك الأحداث منهم، وقيمة الصدق واضحة في سلوك الرجل (صاحب الطائر) وفي سعيه وإصراره عند القاضي على مواجهة الكاذب الأناني، ويتجلى أيضاً حرص القاضي والسلطان على إظهار الحق وحماية تطبيق حقوق الإنسان وإقامة العدل.

ونجد مثلاً آخر يمجّد قيمة الصدق في حكاية "بديحة بديحوه"⁽¹⁾.

وملخصها:

فتاة فقيرة تدعى: "بديحوه"، تعاني الأمرين من زوجة أبيها، ثم يتسم لها الحظ بفضل جمالها وطيبة قلبها، فبعد أن تنقذ الفتاة سمكة "البديحة" من موت محقق، تردّها إلى البحر لأنها صدقت وعودها، ترد لها البديحة الجميل وتصدّق في وعودها للفتاة، فتساعدّها في التغلب على مكائد زوجة أبيها، وتهيئ لها الأسباب للزواج من ابن السلطان. وهكذا نتعلم من هذه الحكاية أن الصدق جزاؤه وفير وخيره عظيم، وأن الفوز في الحياة للصادقين، وأن السعادة جزاء للمحسنين، وأن الخيبة والتعاسة جزاء للأشرار الظالمين⁽²⁾.

ومثلها في حكاية "غاية والحنيش"، حيث تحكي الحكاية عن غاية وهي فتاة تظلمها امرأة أبيها كثيراً. وفي يوم، تلتقي بحنيش (ثعبان) يعرض عليها المساعدة حين يعرف أنها بحاجة إلى حبل لحزم الحطب ونقله إلى امرأة أبيها. وبعد تعارفهما، يطلب الحنيش منها الزواج، ويَعِدّها بأنه سيجعلها من أسعد الناس. وحين توافق على طلبه، يتحول إلى شاب وسيم، ويخبرها بقصته التي تقول: إنّ ساحراً شريراً قد حوّلته إلى جنّي، وفي النهاية ينتصر الحق على الباطل والخير على الشر، حيث تعيش غاية حياة سعيدة مع زوجها بعد أن يعود إلى طبيعته شاباً وسيماً، بينما تلقى أختها حتفها وتكون النهاية أن تحصد زوجة

(1) ينظر الحكاية في الملاحق.

(2) ينظر الحكاية في الملاحق

أبيها الندم والألم.

كما نجد في حكاية "الثعلب والحمام" مصداق قيمة الصدق، ونقيضه الكذب والخداع، وفيما دار بينهما من وقائع انتهت بهزيمة الثعلب المخادع، ونجاة الديك من الورطة التي وقع فيها، وهي حكاية بسيطة التكوين والإنشاء، وترسّخ على قِصرها عمق قيمة الصدق في العلاقات الإنسانية ⁽¹⁾.

ومثال آخر في حكاية "الثعلب والحمام"، وهي تروي قصة ثعلب شرير يتربص بحمامتين، ويجبرهما على إعطائه كل فراخهما بالمكر والخديعة، ويستمر ذلك إلى أن يأتي طائر الخصيفي، فيحذر الحمامتين، ويُبطل مكر الثعلب، ويكشف خداعه؛ فيغضب الثعلب من طائر الخصيفي، ويفترسه انتقاماً على تدخله في أمر لا يعنيه.

وفي هذه الحكاية تصويرٌ لجانب من المآسي الإنسانية، من خلال عالم الحيوان على غرار "كليلة ودمنة" ⁽²⁾، وفيها أن قيمة الصدق ليست بالضرورة منتصرة في واقع يعمّه الزيف، ولذلك تختلف هذه الحكاية عن النماذج السابقة في تبنيها إلى خطر الواقع الذي يُلْقِي الكذب من كل جوانبه؛ فهو ينقلب إلى واقع مجهول العواقب مُنْبِئ بالكارثة، وعندما يستشري الكذب في السلوك الإنساني يصبح في منزلة الخديعة، وهي مرتبة أعلى، ومن ورائها انهزام الحقيقة وسيادة الباطل (سنعود إلى تحليل هذا البعد الاستثنائي لاحقاً).

وقد يكون في الصدق منجاة للمخطئ عن غير عمد، وهو مغزى حكاية الخادمة والأمير "سيف الأمير" ⁽²⁾، فقد أهدت سيف الأمير لابنها مخالفةً لأمره بأن يكون هدية لابنه الشجاع من غيرها، وتعللت بأنها ترى "سعيد في عَيْنِ أمّه

(1) ينظر الحكاية في الملاحق.

(2) عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، ولها نظائر في الأدب الإنساني بلغات شتى ضمن ما يسمى بأدب الحيوان.

(3) ينظر الحكاية في الملاحق.

زين" (3). وهو قول سار مثلاً جاء على لسان الأمير في نهاية الحكاية تعليقاً على تصرفها الغريب الذي انطوى على ازدواجية المعيار؛ فالخديعة غير مقصودة وصارت وجهاً للحقيقة؛ أي إنها كانت خادمة صادقة رغم أنها لم تصدق فعل الأمير ولم تمتثل لأمره، وهنا نصادف معنى آخر لقيمة الصدق غريب التكوين، اقتضته الحكاية وليس البعد المثالي لمعناه الحقيقي في التصور والوجدان، ويستحق نظراً وتأملاً تحليلياً.

وتُقرّ هذه الحكايات من خلال ما آلت إليه من نهايات سعيدة المبادئ الأساسية الآتية:

- **إحساس الفرد (الطفل) بالسلام الداخلي والاستقرار النفسي، والتوازن في الحياة الاجتماعية** بعد متابعة أحداث هذه الحكايات المتشعبة حيناً والبسيطة البناء حيناً آخر، ومصدر السكينة في الشعور بأن النقص الآتي من عقدها (بفقدان الصدق وظهور الكذب والخداع) لا يدوم طويلاً، وينجلي بنهاية سعيدة (ومثال ذلك فقد الطائر إلى حين إيجاده في الحكاية الأولى)، وتلك من أساليب القص الشعبي الحريص عادةً على تحقيق مبدأ أساسي في القص هو: (إعادة التوازن)، (1) في أجلّ مشهد ينتصر فيه الصادق على الكاذب والعدل على الظلم؛ ولذلك فإن فهم تقنيات القص عند الحاكي (الشعبي) الذي روى الحكاية بهذا الشكل دليل على نجاحها في إيصال الرسالة إلى المتلقي الصغير على أحسن وجه، ورسوخ قدم هذه الحكايات في غايات تربوية أصيلة.

- **بناء شخصية قوية ناضجة** ومُتماسكة للطفل المستمع إلى الحكاية من بدايتها إلى نهايتها، وإكسابه القدرة على التمييز بين الصدق الموصول بالحق، والكذب الموصول بالباطل، وهذا في حدّ ذاته من المقاصد العليا للقيمة بشكل

(1) إعادة التوازن مبدأ أساسي في القصة والحكاية مهما كان طولها أو تشعب أحداثها، ويعني العودة إلى لحظة استقرار ونهاية واضحة الملامح بعد الأزمة والعقدة. / ينظر: تيمور، محمود: فن القص، مصر: دار الهلال للنشر، 1948، ص 180 وما بعدها.

عامّ. وهذا المثال الأول المستمد من الحكاية الشعبية يدل على أن مآل كل القيم الإنسانية التمييز بين (الحق) و(الباطل) برؤية اجتماعية، تقف وراءها قيم الخير والعدل وما تواضع البشر جميعهم عليه؛ ولذلك فبالنظر إلى سلّم القيم الذي تحدثنا عنه سابقًا، تأتي قيمة الصدق تأسيسية لقيمة أعلى منها هي الحق، وتنهل من معينها الشخصية الناشئة، وهي تتعلم أهم مبدأ في الحياة لتسير عليه وتقتدي به وتشرّبه، فينعكس على سائر تصرفاتها ومواقفها.

- **التّحفيز على العمل، وتنفيذ النّشاط بشكل مُتقن،** ويتضح ذلك في (بحث الرجل عن الطائر وإصراره على إيجاده، أو في حكاية بديحوه)، فلهذا المعنى القيمي (السعي) وظيفة التمهيد في سلّم القيم، وصولًا إلى تحقق الصدق في واقع الحكاية، ومن خلال هذا القصّ يتعرف الطفل أن السعي شرط تحصيل الحقيقة، ويعني بذل الجهد والتحفز للفعل، والاستعداد للعطاء والبذل، والإصرار على بلوغ الغاية (العثور على الطائر مثلًا/بديحة النجاة من الظلم)، وكل هذه المعاني جسّدتها الشخصيات (الحكائية) التي لم تستسلم ليأسها وظروفها الصعبة، ولم تُسلّم بعجزها، فتشبّثت بالأمل إلى أن وصلت إلى غاياتها، وكان السعي دليل صدق الفعل والقول، ودليلاً على فعله وتحويله الأمل إلى واقع.

- **سلّم القيم الغائية في الحكايات:**

بالنظر إلى سلّم القيم الإنسانية في تعانقها وترابطها في حكاية (كنا كنا) وفي غير ذلك من الحكايات المشابهة التي أوردناها، نلاحظ بدايةً أن قيمة الصدق لم ترد في عزلة عن قيم أخرى إيجابية تؤيدها وتناصرها وتدور في مدارها، مثل: الحق، والسعادة، والشجاعة، والعدل، وحقوق الإنسان في العيش الكريم، وغيرها، ويمكن أن نرصد الآتي من العلاقات بينها في الحكايات:

- القيم المحركة للفعل (الحكائي) (attitudes):

تمثل حوافز الفعل (الحكائي)، إلى جانب كونها قيمًا مرحلية تمهّد لما يكون بعدها، ويسمي الدارسون هذا النوع من القيم التحفيزية (بالاتجاهات⁽¹⁾)؛ لأنها مرتبطة بالمكونات النفسية والمعرفية لشخصيات الحكاية، ولا يمكن النظر إليها إلا من هذه الزاوية؛ أي في ارتباطها بهوية الشخصيات وأفعالها والوقائع وتطورها في الحكاية. ومنها:

- السعي رغم قلة الحظ والعجز وصعوبة الوصول إلى الغاية.
 - التعلق بالأمل مهما كان ضعيفًا.
 - المواجهة، والإصرار، والتشبث بالحق.
 - الوفاء لكائن (طائر/سمكة) تربطنا به صلات وجدانية شعورية/إنسانية، هي الرحمة، والشفقة، والعطف، والرعاية، والأنس، والألفة.
- والملاحظ أن محفزات الفعل أو الدوافع المذكورة في الحكاية هي كذلك قيم في غاية الأهمية، وإن كانت في سياق الخطاب الحكائي (في هذا المثال) في طور الوسيط لما هو أعلى منها من "القيم القصوى"، وهو تقسيم، ولكن لا يمكن الاستهانة بتلك الوسائط أو الدوافع لأنها من طبيعة عملية، وتترسم في السلوك كالقانون الذي يسوس التصرف والحركة والقول والفعل، وهي وسيلة تربية مهمة جدًّا؛ لأنها تغرس في الطفل "اتجاهات" فطرية ونفسية ومعرفية ووجدانية متكاملة في شخصيتي الزوجين. ومن جماليات الروح الإنسانية التعلق بطائر والتشبث به مع أنه مجرد طائر، ومن جماليات الشخصية الإنسانية ألا

(1) ينظر الفصل الأول: مفهوم القيمة ومحدداتها، وقد رأينا فرق ما بين الدافع، فهو كما يعرفه الجلال حاجة شعورية، تدفع الكائن نحو هدف معين، فيتحقق بذلك الهدف معنى القيمة المحددة للسلوك الإنساني. ومعنى ذلك إن ما يوجه سلوكياتنا الواقعية هو القيمة أساسًا، وما الدوافع إلا وسائط إلى ذلك، وكأن القيمة أيضًا: نظام توجيه السلوك، وهي ما يخلق فينا الدوافع للحركة والفعل والتصرف والقول، ومن أنصار هذا التفكيك بري (perry)، الذي يرى أن "القيمة اهتمام قبل كل شيء"، إذا كان الشيء موضع اهتمام، فإنه يكتسب قيمة ولاشك، ومع ذلك فرق العلماء بين القيمة والاهتمام والقيمة والاتجاه وهي ثنائيات متصلة وملتبسة، من خلال هذه المؤشرات: الاهتمام (interest) هو ميل الإنسان إلى أمور يحبها أو أشياء يفضلها أو يشعر بجاذبية نحوها، والاتجاه (attitude)، يتولد مرتبطًا بالقيمة، ولكنه مابين لها وأقرب إلى استراتيجيات الفعل الناتج عن اقتناع معين.. / عن الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 23.

تنهزم بسهولة أمام الكذب والغش والخديعة، فتعلن التحدي وتسير في طريقه.

● الصدق في القول والثبات عليه (فعل الرجل/فعل الفتاة في قصة بديحة/طائر الخُصِيفي في الحكاية الثالثة).

● العدل في إصدار الحكم والتحري في الوصول إليه (فعل القاضي/عدل النهاية في حكاية بديحة/عدل القدر في الحكايات الأخرى).

- الغاية القصوى للقيم الإنسانية في الحكاية:

● انكشاف الحقيقة بعد زيف الباطل (حكم القاضي بالعدل/انتصار الفتاة في قصة بديحة على الظلم).

● ظهور الحق وعودته إلى نصابه من الواقع (عودة الحق إلى أصحابه في الحكايات جميعاً، ما عدا حكاية طائر الخُصِيفي الذي توخى الصدق والحق، ولم تكن نهايته إلا مأساة).

● جمالية العلاقات الإنسانية في صلتها بالبيئة والكائنات الطبيعية.

● صلة الصدق في المواقف والأقوال بالسعادة.

ومن خلال هذا المثال نكتشف مرة أخرى أن القيمة التي تقف بعيداً عن سطح الأحداث (في أبعادها المعرفية، والإنسانية، والجمالية)، هي قوة الفعل وليست الأفعال أو الاتجاهات التي قادت سلوك الشخصيات في الحكاية، ومن هنا نتساءل: أليست تلك السلوكيات هي الأجمل من ناحية تعليمية واقعية، وأنها لا تقل جدوى، وفاعلية، وتأثيراً عن القيمة ذاتها؟⁽¹⁾

(1) ينظر: الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 23 وما بعدها.

في الحقيقة هو سؤال محير ولا شك، ويمثل مدار جدل الدارسين المعاصرين، وكلُّ يواجه السؤال بطريقته، فإذا كانت الغاية الأدبية كما تجلت من الدراسة أن تبقى القيم في صدارة تنويع الفعل القصصي ومبلغ غاياته ومقاصده، وإذا حللنا من زوايا نفسية، وأخلاقية، وإنسانية بمعايير معاصرة أكثر انفتاحًا على الأثر الأدبي والحياة الفكرية والواقعية للبشر، فإننا نكتشف أن الاتجاهات في نفس مرتبة القيم، بل هي في حد ذاتها مكونات معرفية ضروري ترسيخها في نفسية الطفل.

ومن جانب آخر، تتقاطع قيمة الصدق مع أهم القيم الإنسانية على الإطلاق: السعادة، ولكنه تقاطع في أشكال كثيرة بحسب نهايات الحكايات، وتلفتنا نهاية طائر الخفيفي الغريبة، فقد تدخل لرد حق الحمامات، فكانت نهايته في فم الثعلب فريسةً، وهذه نهاية لم تكن ملائمة لفعل شخصية صادقة مدافعة عن الحق، ولعل ذلك من سذاجة المخيلة الشعبية وعدم إدراكها للبعد النفسي والتربوي المفقود، وللخسارة التي سببتها تلك النهاية في الانهزامية وغياب فرحة النصر الذي كان يجب أن يكون ثمرة التضحية والشجاعة.

في الحقيقة يمكن للمخيلة الإبداعية الشعبية أن تفاجئ الدارس بنهايات وخواتيم مأساوية لشخصياتها؛ لأن الغاية لدى الراوي قد نتبينها في الإشارة إلى معنى خفي لا يدرك من زاوية القيمة وحدها، وإنما من خلال العلاقات الاجتماعية ومثلها ونواميسها، وفي هذه الحكاية يسعى الحاكي إلى تنبيه السامع (الطفل) إلى طائر الخفيفي وإن دافع عن الحق، فقد تدخل في الحقيقة فيما لا يعنيه بوسائله الخاصة واثقًا من نفسه غير محتاط لأمنه من الثعلب، فإذا بقيمة بارزة تبرز هنا؛ مسألة ضرورة التحري، والاحتياط، والحيطة في الفعل، والحذر، وحكمة التصرف، وإن كانت غاية الفاعل نبيلة، حيث إن التهور نقيض الجرأة، والانتقام

دون تنبه إلى المخاطرة مجازفة على العاقل أن يحذرهما، وهو تمامًا ما كان من أمر طائر الخصيفي الذي، وإن كان على حق منقادًا بنبل القيم الصادقة، فإنه فشل في النجاة بنفسه والسلامة من غدر الثعلب المتصف بالمكر والخديعة، فلا بأس أن يضحى الراوي الشعبي بقيمة مهمة هي الصدق في الفعل من أجل قيمة لا تقل عنها شأنًا وهي الاحتياط، والتحري، والانتباه، والحذر، وهي قيم وسيطة في السلم القيمي الإنساني.

وإن من أهم ما نتبينه من خلال توظيف قيمة الصدق وما يدور في مدارها في الحكاية الشعبية الإماراتية ارتباطها بقيم أخرى ذات أبعاد تأسيسية في المجتمع، منها السعادة، وتحصيل القيمة الجمالية للحياة، والانتصار للحق، وهنا لا تتشعب أحداث الحكايات، وإنما تقصد إلى الهدف بأقرب الوسائل، وهي طريقة في القص تضيّع على المتلقي فرصة ترسيخ الفائدة والمغزى في الذهن، وتصلح هذه الحكايات أنموذجًا لكتاب القصة الطفولية من حيث النسج، والصياغة، والبناء.

ب- المحبة ونقيضها الكراهية:

تحملنا هذه الثنائية إلى هامش تأسيسي في القيم الإنسانية مصدره الوجدان والشعور بالدرجة الأولى، ولكن قد يتدخل العقل في تحديدها كذلك، وقد تتدخل ملابسات الواقع المتغير في رسم معنى المحبة، وتبقى المشاعر المرتبطة بها من أهم القيم التي تلوح في الحكايات الشعبية نبراسًا تربويًا وأخلاقيًا عالي القيمة لدى الناشئة والأجيال القادمة، فليس أقل من زرع المحبة في قلوب أطفال هم مستعدون لها بالفطرة، ومن ذلك ما نجده في حكايات كثيرة، على سبيل المثال: حكاية "أنتيف أنتيفان"⁽¹⁾، والحكاية تدل على صورة

(1) ينظر الحكاية في الملاحق.

(2) ينظر الحكاية في الملاحق.

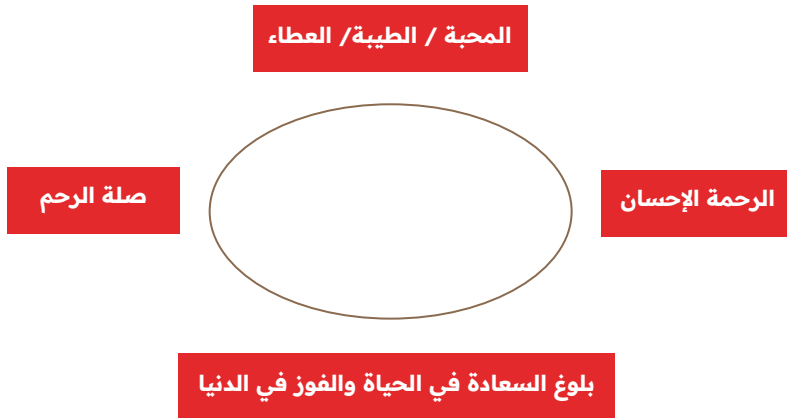
المحبة بين الإخوة، فشخصية أنتيف تجسدها وتحمل بين جوانبها مشاعر ود
لإخوة محتقرين مستهزئين، ومع ذلك لا يقابل احتقارهم بكرهية، وإنما بحب،
وينقذهم من مخاطر جمة، وكذلك في حكاية "عوشانة والذئب" ⁽²⁾ ، تفرض
المحبة وجودها في سياق الأسرة وبين الإخوة، وكذلك "دجاجة ميثانة" ⁽¹⁾ ، تأتي
المحبة في سياق أعم لتصبح شوقًا إلى الخير وحرصًا عليه، وتحكي حكاية
"دجاجة ميثانة" عن امرأة تدعو الله أن يستجيب لها ويحقق أمنياتها في امتلاك
دجاجة، وتكشف الأحداث لاحقًا أن هذه الدجاجة أصلها إنسية جميلة فتزوجها
ابن الوالي. القصة من التراث الإماراتي أعاد صياغتها الدكتور عبد العزيز مسلم،
وتُعنَى بالكشف عن فضائل الإنسان ومشاعر المودة التي يجب أن تسود المجتمع.
وتقول حكاية "أنتيف أنتيفان" إن امرأة لم تنجب أطفالًا، فذهبت إلى رجل صالح
وشكت له الأمر، فساعدتها من خلال اختبارات كثيرة، ولكنها تنجب في آخر الأمر
طفلاً مشوهًا قصير القامة، فأطلقت عليه اسم أنتيف أنتيفان. وسيكون لأنتيف
إخوة يحتقرونه، ويكبر بينهم في منزلة دونية، رغم طيبته وأخلاقه الحميدة.
وفي يومٍ ما، طلب الأبناء من أمهم أن يذهبوا إلى جدتهم، فرفضت لأن الطريق
صعب، وهي تخشى عليهم، ولكنهم ألحوا فوافقت. وسار الأبناء في طريقهم،
فوجدوا بحرًا يصعب اجتيازه، فقام أنتيف أنتيفان بشرب البحر، وهكذا اجتاز
الأبناء البحر. وبعد فترة من السير، طلب الجميع من أنتيف أن يعود لأنه بطيء
السير بحماره، فبكى بكاءً شديدًا، وتتواصل أعمال أنتيف الخيرة من أجل إنقاذ
إخوته من مخاطر كثيرة، آخرها تهديد الساحرة، وأصبح أنتيف أنتيفان
أحًا محبوبًا في نهاية الحكاية، وتقلد رئاسة القرية.

ويخدم البعد العجائبي الذي صقل شخصية "أنتيف أنتيفان" وصنعها من

(1) ينظر الحكاية في الملاحق.

وحي الخيال غرضاً دفيناً في الحكاية إيجابيّ الملمح؛ وهو إنصاف الأخ الأصغر بين إخوته حتى لا يُهْضَم جانبه من ناحية، ومن ناحية أخرى إنصاف كل شخص يحمل في قلبه الحب للآخرين ولا يضرهم الشر رغم أعمالهم، كما تنتصر الحكاية الشعبية لقيم الواقع الذي يصنع الرجال وتبرز فيه معادنتهم الحقيقية، فأنثيف الذي وُلِدَ في ظروف "عجيبة" مثله مثل إخوته، ولكنه اختلف عنهم في الخلقة والهيئة والشكل الخارجي، وفاقهم سموًا بأخلاقه وأفعاله، هو الذي يقدم خدمة للآخرين ويفوقهم عطاءً بلا مقابل ولا تردد، وهنا نستحضر قيم المحبة والبذل والتضحية والشهامة، من خلال أفعال شخصيات الحكاية الشعبية الإماراتية.

وترتبط قيمة المحبة بشبكة من العلاقات الإنسانية والقيم السائدة



في المجتمع، ومنها الإحسان والرحمة والتعاون؛ ولذلك نقيّم المحبة جوهر قيم اجتماعية أخرى كثيرة تدور في مدارها ولا نُغليها عليها، على نحو ما يوضح هذا الرسم:

ولعل المحبة -كما يبين الرسم- قيمة تأتي على رأس القيم السلوكية الأخرى جميعها؛ لأنها في الحقيقة ذات محمول شعوري/معرفي/وجودي، في حين أن بقية القيم السلوكية المتولدة عنها إما وقتية، أو أنها مجرد قيم انعكاسية للمحبة، أو أنها اتجاهات في الفعل القصصي (الحكائي). أما "الحب"، فيبقى قيمة أصيلة في التراث الإنساني كله، وفي جميع الفلسفات والأدبيات، وفي كل ما ذهب إليه التصوف وفلاسفة الإشراق قديمًا من أن الحب جوهر وجود الإنسان ⁽¹⁾، وما نجده في الحكايات الشعبية وما يقوم به الأبطال فيها من أعمال الخير والعطاء لتأسيس المحبة في الواقع وتثبيتها في قلوب خصومهم وأعدائهم، كأن الراوي الشعبي يستوحي ذلك الإرث، ويعض عليه بالنواجذ رغم تغيّر الأزمان وتتابع السنين، وهو يعني في النهاية أن محبة الله بالدرجة الأولى مصدر لكل محبة، فهو الذي تتمثل فيه كل قيم الخير من جهة، وكل قيم المغفرة والرحمة والعطاء والتجاوز عن ذنوب الآخرين من جهة أخرى، فإذا بهذه القيم الوسيطة تنهل من مخزون عرفاني واجتماعي ثابت وأصيل من سمات هذه الثقافة العربية، وهي ليست مسلًا في التصرف والفعل فحسب، ولكن قد تظهر علاماتها في تدرج الشخصية من منزلة إلى أخرى، وفي مكابذتها لآلامها، ورقبها فوقها لتبادل الشر بالخير، وعلى سبيل المثال، فأنتييف قاده حلمه وقلبه الطيب إلى أن أنقذ إخوة لا يستحقون ما فعل من أجلهم.

وأما القيمة المقصدية من الحكاية، فهي السعادة في بُعدها الإنساني

(1) ابن سينا، الفارابي والكندي، أسسوا لهذه المعاني في فلسفاتهم الإشراقية.

الأوفى؛ حيث إن الراوي لا يؤسس خطابه على العقاب المباشر، ولا يشير إلى أن الشخصية الرئيسة تصرفت بتوجيه مسبق، بل على العكس، يبدو (أنثيف) شخصية أسطورية لا تنطبق عليها معايير التصنيف القيمي، ولذلك فمساحة وعيها بوجودها تقع في الحيز الإنساني، ولعلنا نتوقف لتبين أهم معايير السلوك من زاوية صلة السعادة بمعنى المحبة، من خلال أفعاله على هذا النحو:

- ميل الإنسان (في شخصية أنثيف) إلى أمور يحبذها، أو أشياء يفضلها أو يشعر بجاذبية نحوها، مثل مساعدة الآخر، والعطاء دون حساب تحقيقًا لنجاته وسعادته. والأمر نفسه يتحقق في سلوك ميثانة ودعائها: "يا رب! نعم دَجَاجَة، دَجَاجَة سوف أحبها وأرعها كأنها ابنتي"، وقد تحقق وتحققت به قيمة المحبة قبل الكسب المادي لهذه الشخصية، وهو ما يمثل الاتجاه (attitude) في الحكايتين الذي يتولد مرتبطًا بالقيمة (كما ذكر سابقًا)، ولكنه مباين لها، وأقرب إلى إستراتيجيات الفعل الناتج عن اقتناع معين، "فأنثيف" رغم الإعاقة، وأنه غير مشابهٍ لإخوته، وفي الأساس هو كائن يتلبسه شعور بالنقص، إلا أنه وَلَد من ضعفه قوة، وارتقى فوق ألمه، واحتضن الآخرين بمشاعر الرحمة والتسامح والعطاء غير المحدود، وهنا نتبين جوهرًا إنسانيًا تؤسسه الحكاية في وعي الأطفال المستمعين إليها يُبنى على محبة الآخر، وقد تؤسسه في "لاوعيهم" كذلك، ويكون البناء للشخصية من هذه الزاوية متينًا وثيقًا.

- ونتبين في أفعال (أنثيف) القصصية إستراتيجيات ثلاث، أو مكونات ثلاثة لحضوره في الوقائع التي عاشها ⁽¹⁾ :

• المكون المعرفي: وهو معرفته بحدوده في الحياة وإمكاناته، وصحيح أنه من المفروض أن يكون غير قادر على فعل كبير فيها بسبب هذا التشويه في

(1) عن الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص 23.

تركيبته الفيزيولوجية، ولكنه وجد إمكانات الفعل في العزيمة، والإصرار، والذكاء، وحسن التصرف في المواقف الصعبة.

• المكون الوجداني: وهو الذي أشرنا إليه في البداية من اتصاف هذه الشخصية بأنها "محبّة للغير"، عن أصالة وفطرة، كأنما تقول الحكاية للطفل الذي يستمع إليها: إن الله خلقنا مختلفين، ولكن ليست العبرة بما آتانا من قوة جسدية، أو جمال خارجي، أو غير ذلك من نِعَم هي في الحقيقة مقسومة بحكمته بين البشر، إنما العبرة فيما يضيفه الفرد من ذاته ليتصالح مع وجوده ويحصل طريق السكينة ومنزلة الفضلاء، وليس أهم هنا من أن يُقْبَلَ المرء على الدنيا إقبال المحب القادر على العطاء من خلال هذا الشعور النبيل، وكذلك إقبال مَنْ يستطيع أن يحوّل الشعور إلى طاقة فعل تفيد الآخر، وتأتيه بالخير، وتمنع عنه الشر والظلم.

• المكون السلوكي: ويظهر ذلك في أقوال "أنتيف" وفي أفعاله، فهو شخصية تسلك مسلك الصالحين في كل ما تفعل، ومن أهم سمات الشخص الصالح: أن يكون الفعل عنده أكثر من القول، وأن ترتبط أهدافه بغايات سامية هي فوق الأشخاص قيمةً لأنها تطال معنى السعادة الداخلية والسكينة في الباطن لا في الظاهر، وهذا درس ربما نعتقد أن الطفل لا يدركه في مستواه الأعظم من خلال الحكاية، في حين علمتنا التجارب أن الأطفال يدركون كل هذه المعاني من خلال الاستبطان⁽¹⁾ غير الواعي في البداية؛ أي من خلال التقبل العفوي فقط، ثم يعلمون تأويل ما اقتنعوا به لاحقًا عندما تتطور عندهم القدرات التحليلية،

(1) الاستبطان أحد المناهج المبكرة في دراسة الظواهر النفسية، ويُقصد به أن يتأمل الشخص تفكيره ويلاحظه ويقرر الحالات والمراحل والإدراكات التي شعر بها في مواجهة موقف معين أو عند استجابة لمنه ما، وقد استخدم هذا الأسلوب في معمل فونت، إلى جانب التجارب المضبوطة بهدف إلقاء الضوء على الخبرة الذاتية للشخص وكانت كل تجربة في معمل فونت تتضمن فاحص واحد ومُجرّب عليه واحد فقط، ولقد لحقت بهذا الأسلوب تطورات كثيرة فأصبحنا بدلًا من أن نترك الشخص يستبطن بحرية كاملة خبراته الذاتية نوجه له أسئلة محددة وتفضيلية يجب عليها لنحصل على تقارير متشابهة يمكن المقارنة بينها واستخلاص خصائصها المشتركة.

ويصبح ما كان مستبطنًا خارجًا في الفعل والسلوك عن اقتناع، ولكن بلوغ تلك الغاية النبيلة من الحكاية يقتضي مرافقة تربية جيدة في مستقبل الطفل في سائر مراحل حياته.

ندرك في نهاية المطاف، من خلال هذا التحليل القيمي لمضامين الحكايات ذات الطابع الإنساني أنها تبذر في الأرواح والنفوس بذور خير، سيكون عطاؤها في مستقبل الطفل لا في حاضره فقط، وأن ما يختزنه المتلقي في صباه من مُثُل ومعانٍ سامية لا شك سيثبت في لاوعيه ويرافقه في باقي حياته نبراسًا للفعل، يهدي إلى الخير وإلى صالح الأعمال.

وليس مطلوبًا من الحكاية الشعبية أن تقوم بأكثر من هذا الدور، فيكفيها شرقًا أن تسهم في توجيه وعي الطفل و"لاوعيه" إلى الخير، بما يشبه البرمجيات العصبية والنفسية والذهنية، وليس من يسمع الحكايات في طفولته كالذي لم يُمنح هذه الفرصة لسبب أو لآخر، فلا شك أن الأول قد حظي بنعمة عظيمة، فأرسل إليه المربي (بلهجة شعبية) المناسب ليمنحه من القيم ما يدخل في شريان شعوره وتفكيره، فيرافقه ذلك مدى الحياة، فعندما يكون الطفل عارفاً أن الصدق والأمانة والمحبة من أشرف قيم الإنسان، يكون بالضرورة عارفاً أن الطريق الموصلة إليها هي السعي، والتضحية، والإيثار، والإباء، ويتم الربط بين القيم الوسيطة والقيم السامية برباط الحكاية المتين وعوالمها الساحرة للعقول

2- قيم الخير في الحكايات الشعبية الإماراتية:

الخير ويقابله الشر، ومثاله في حكاية "الفأر المكار" ⁽¹⁾ الذي تدرّج في نكران الجميل والخير الذي يقابله الناس به، فيكيد لهم ليضاعف مكسبه من قطعة خبز إلى بُزْمة إلى بقرة، إلى أن فاز بعروس وأخذها من أهلها بالحيلة والمراهنة الخسيسة، فقد تعودّ على الخداع لاستغلال الآخرين، فكان يبتكر حيلة تلو الحيلة، ثم يسير فَرِحًا كلما جنى بالمكر مغنمًا أو مكسبًا.

وملخص الحكاية: يحكى أن هناك فأرًا حاول صعود الشجرة، وفي أثناء تنقله نغزته شوكة فنزل يتألم، فشاهد امرأة كانت قد أشعلت النار في التنور تخبز الخبز لأبنائها، فأخرجت الشوكة ورمتها في النار فصاح الفأر بها: أين شوكتي؟ فردت عليه: في النار. فثار وصاح: إما أن تعطيني الخبزة أو تُرْجعي إليّ شوكتي. فدهشت المرأة وأعطته الخبزة مجبرة ومكرهة. وفي طريقه صادف امرأة مع أولادها، فأعطاهم الخبزة فأطعمت أولادها، وما هي إلّا لحظات حتى ساومها على أن تعيد إليه الخبزة أو تمنحه البُزْمة، فأخذ البُزْمة ومضى. فصادف امرأة عجوزًا تحلب بقرتها، فأعطاهم البرمة، فرفست البقرة برجلها البُزْمة فانكسرت، فأخذ يساوم المرأة، إما أن تعيد البُزْمة إليه أو تعطيه البقرة، فأعطته البقرة مكرهةً، وهكذا يمضي الفأر في الاحتيال، حتى تقتص منه الفتاة وتقطع ذيله.

وهو ولا شك من حيث تركيبة الشخصية، يتخذ بعدًا (حكائيًا) يشير إلى طائفة من الناس الأشرار الذين إذا وجدوا مطمعًا في الخيرين نالوا منهم، وإذا

(1) ينظر الحكاية في الملاحق.

وجدوا تنازلاً منهم عن حقوقهم كادوا لهم المكائد وأوقعوا بهم فأذلّوهم واستغلّوا طبيعتهم أسوأ استغلال، ولكن الحكاية تنتهي نهاية منصفة ينتصر فيها الخير والحق على الشر والخديعة ⁽¹⁾ .

وتحليل هذه الحكاية استناداً إلى أساسها الفني يقوم على سرد خطي متتابع، فكل حدث بسيط يُفضي إلى حدث بعده أعقد منه وأشدّ حدةً، إلى أن يصل الأمر إلى ما يشبه المفارقة العجيبة التي يصعب أن يقبلها عقل، والمقصود من هذه الحكمة الفنية التي أبدعت المخيطة الشعبية في نسجها إيصال مخيلة المتلقي (الطفل أساساً) إلى التساؤل عن فحوى المفارقة: كيف يمكن لفأر حقيّر الشأن والقيمة أن يعبث بالإنسان كل هذا العبث، فيسلبه حقه، وهو راضٍ مستسلم دون مقاومة، حتى يسلبه في نهاية الأمر شرفه وإبائه وعِرضه (رمزية العروس)، فإذا بها تنتقم لنفسها وأهلها بقطع ذيله، ليكون عبرة لمن يعتبر. وينهض تسلسل الأحداث بقيم وسيطة وأخرى نهائية على درجة من الأهمية، بعضها من نسج الحكاية وبعضها من خاصيات القص، ولكن جاء متلوّناً بمضامين مهمة تشمل الأحداث، والأسلوب، والشخصيات.

● **القيم الوسيطة:** إذا اعتمدنا على تصنيف روكتش (Rockeach)، وهو من أكثر التصنيفات وضوحاً ويسراً في التطبيق على التراث الأدبي، فقد شدد على نوعين منها: القيم الوسيطة ⁽²⁾ أو الوسيطة (Mediator values)، والقيم الغائية أو النهائية (terminal values) .

- **القيم الوسيطة في الأحداث:** هي قيم ذات بُعد سلبي: فالشرّ يتسلل إلى الحياة الإنسانية إذا وجد ضعفاً في بنائها المعرفية والقيمية؛ أي إذا كان

(1) ثاني أحمد راشد: إلا جمل حمدان في الظل بارك، 24 حكاية من التراث السري الشفاهي في الإمارات، أبوظبي: دائرة الثقافة والسياحة - دار الكتب، 2018، ص153-151.

(2) الجلال، تعلم القيم وتعليمها، ص210.

الجهل سائداً، والسذاجة والغباء حاضرين، والتهاون والطيبة الزائدة عن حدها من سمات التعامل اليومي بين الناس، في هذه الحالة يُنْجَل الشرير بالروابط الاجتماعية ويعبث بها، لغلبة معايير السلوك المذموم عليه، وهو الذي يجب أن يحذره الطفل ويتجنبه لأن عاقبته وخيمة، كما أن الثقة في الغريب الحقيق الشأن من أسباب الغفلة التي كثيراً ما تُحذّر منها الحكايات الشعبية⁽¹⁾، ومن هذه الناحية لعبت القيم الوسيطة دوراً في تداعي الأحداث وترتيبها الخطية، من خلال تسلسلها المترابط والمتدرج، وأحسن الراوي استغلالها وتوظيفها على مستوى البنية، والمضمون على حد سواء.

- **القيم الوسيطة في الأسلوب:** إن أسلوب الحكاية يراوح بين السرد والحوار، والأسلوب الثاني مهم جداً من ناحية التأثير النفسي، بل لعله الأقرب إلى رسم حقيقة الشخصيات وبيان مقدرتها على التحايل ونصب الفخاخ والمكائد؛ ولذلك هي شديدة التأثير⁽²⁾ في الشخصيات الطفولية لوجود خاصية التمثل فيها (Representation)، القريب المباشر للشخصية عند سماعها تتحدث مباشرة، فلا تنقل أقوالها وأفعالها سردياً. ومن هنا، ندرك أن الحكاية الشعبية تتجه مباشرة صوب عقل المتلقي ووعيه، وتحرص على تطوير خبراته في الحياة وإحساسه بالأشخاص والأشياء إحساساً يقيه نوائب الدهر ويوسع معرفته بحقائق الشخصيات المخادعة التي يمكن أن يلقاها يوماً ما، حتى إن كانت الشخصية الأساسية في الحكاية هي شخصية من عالم الحيوان.

(1) أغلب الحكايات الشعبية الإماراتية فيها هذه النمطية في تصوير الشرير مأكراً والخير ساذجاً منهزماً إلى حين.

(2) عن التمثل / التمثيل يقول جميل صليبا في المعجم الفلسفي: "مَثَل الشيء بالشيء: سَوَاه. وشَبَّه به، وجعله على مثاله، ومَثَّل الشيء لفلان صَوْرَهُ له بالكتابة أو غيرها، حتى كأنه ينظر إليه. فالتمثيل إذن هو التصوير والتشبيه، والفرق بينه وبين التشبيه أن كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلًا. والتمثيل (Representation) في علم النفس فعل ذهني به تحصيل المعرفة، كالإدراك الحسي، والتخيل، والحكم من جهة ما هي بائنة على حصول صورة الشيء في النفس، وتسمّى هذه الظواهر بالظواهر العقلية، وهي مقابلة للظواهر الانفعالية والفاعلة. المعجم الفلسفي، جميل صليبا (تمثل).

- **القيم الوسيطة في الشخصيات:** لقد رأينا أن شخصية "الفأر المكار" قد اتخذت من الفعل الإنساني الظاهر منطلقًا إلى أعمال الشر التي يمكن أن يأتيها بنو البشر، وهو على حقارة شأنه قادر على الإيذاء وإلحاق الضرر بمن هو أشرف منه قيمةً، ولكن استسلم للغفلة والطيبة وقلة الخبرة في الحياة؛ ولذلك كان هذا الفأر أساسًا للشر المتنقل بين أفراد المجتمع، يأتيه طواعيةً وعن تخطيط وسبق إضمار. وهناك نوع آخر من الشخصيات (الحكاية) التي يأتي الشر ملحقًا بطبيعتها العدوانية لا بالخداع واستغلال الآخر، ومثال ذلك: "الذئب الشرير" في قصة عوشانة ⁽¹⁾، فهو لا يرضى بما قدمته الفتاة المسكينة من (نَبَق) جمعته له من "سدره الخير"، وإنما اشترط عليها إيقاد النار بالحطب ليأكلها، فإذا بعوشانة تدافع عن نفسها. ونقتبس من الحكاية هذا المقطع الذي يصور اللحظة الحاسمة في الحكاية لأهميتها في التحليل: "تظاهرت (عوشانة) بجمع الحطب، وخبأت تحت عباءتها غصنًا ذا أشواك، واقتربت من الذئب، فعوى الذئب مظهرًا أنيابه الحادة: سأطبخ لحمك، وأشويك، وأجعل منك وجبة عشاء هنية، فأخرجت عوشانة الغصن المليء بالأشواك بسرعة، وضربت به الذئب، فأخذ يتلوى من الألم، وحينها دفعته عوشانة بقوة، فسقط في أعماق الحفرة وهلك. فنظرت إليها سدره الخير، وقالت: أحسنتِ صنعًا يا عوشانة الشجاعة! لقد خلّصت الصحراء من الذئب الشرير، سأقدم لك مكافأة قيمة على شجاعتك، احفري يمينًا بالقرب مني، وستجدين صندوقًا من الذهب الخالص".
- واقتباس المقطع من القصة كاملاً تُراد منه الإشارة إلى المقابلة المهمة التي عقدها الراوي بين شخصيتين:

"الذئب الشرير" و"سدره الخير"، وحضورهما في نفس السياق في إطار التقابل

(1) ينظر ملحق الحكايات.

المعنوي له دلالة من ناحية تربوية؛ فالراوي يلح على المتلقي لينتبه إلى ما بين الشخصيتين من فرق: الأول منسوب إلى الشر، وأما السدرة فهي إشارة إلى الخير لأن أعمالها كلها خيرة، وساعدت الفتاة المسكينة عوشانة وقدمت لها جائزة مقابل انتصارها على الشر.

- العلاقة بين القيم الغائية والقيم الوسيطة:

الملاحظ أن الحكاية الشعبية تركز على الشخصيات والتقابل بينها في تقديم معنى الشر والخير للمتقبل، ولا شك أن ذلك يناسب إدراكهم ومعارفهم وهي في مرحلة تكوينية، وأفضل ما يمكن أن يميز الشر من الخير والطيب من الخبيث هو أسلوب المقارنة الذي يعمل في الذهن عمل القاعدة الرياضية الواضحة.

وشخصية الفأر المكار، وكذلك شخصية الثعلب في قصة "الحمامتان والثعلب"، وشخصية الذئب في الحكاية السابقة، تشير إلى الشر من موقعها في عالم الحيوان، وهو من ناحية تربوية أسلوب ذكي جداً، فالأفضل أن يكون الشر بعيداً عن الإنسان ليكون بينه وبين الرغبة في التقليد الطفولي حاجز سميك، والمخيلة الشعبية على وعي فطري بأهمية هذا الاختيار ومناسبتها لسن الناشئة والأحداث والمراهقين، فجعلت هذا الحاجز وقاية لهم من التأثير السلبي. وأما الشخصيات وفعلها، فهو يبقى دائماً في المخيلة والوجدان من قبيل الكيد الشرير الذي يمكن أن يبرّر أحياناً في سلوك الحيوان بالحاجة الغريزية ولا يبرره مطلقاً السلوك الإنساني القويم، فإذا كان الحيوان مضطراً إلى المكر والخداع لتحصيل القوت في حياته الحيوانية، وتلك سنة الحياة البرية، فلا شيء يحمل على سوء الفهم في ذهن المتلقي، فمهما يكن فإن ذلك الأسلوب فعل مشين، وأوضح مثال على هذا سلوك الفأر المكار في المثال الأول، حيث كان شره شراً مطلقاً لا يمكن إعداره أو قبوله؛ فهو لذلك شخصية مختلفة تماماً عن الثعلب

والذئب اللذين يمكن أن نقرأ في تصرفاتهما الشريرة منزعًا حيوانيًا صرًا. وقد تنقلب الأدوار الإنسانية والحيوانية في الدلالة على "الشر" ونقيضه "الخير" في الحكايات الشعبية الإماراتية؛ ففي حكاية "أخاف حصاته في ثبانه"، أو حكاية "الغراب وابنه" وهو يوصيه بالحذر من شر بني البشر: "قال الغراب الأب بحب وحنان: يا بني! احذر ابن آدم؛ لأنه ظالم وغدار، يحب الإثم والعدوان. فإذا رأيت إنسانًا ينحني إلى الأرض، فحلّق في الجو عاليًا بأسرع ما تقدر عليه، ولا تلتفت يمينًا أو يسارًا"⁽¹⁾. وفي هذا المثال، ذهب قول الغراب الصغير لأبيه: "أخاف حصاته في ثبانه" مثلًا شهيرًا تتناقله الألسن عبر الأجيال، ويُضرب للتعبير عن ضرورة أخذ الحيطة وتوخي الحذر، وكأنما تنقلب جزئية الشر لتتلبس الإنسان وحده.

وفي حكاية "دينوه وأرباب"⁽²⁾، قصة جديين صغيرين ومقابلتهما للساحر الشرير وتحدي أهمهما للساحر وانتصار الخير على الشر. يضطلع الساحر وهو من عالم الإنس بدور الشرير، فيلتهم صغيري العنزة الشجاعة، وعندما تواجهه بالحقيقة ويعترف بجرمه، حيث لم ينكر الساحر الكبير فعلته، واعترف بأنه هو الذي ابتلع ولديها، بل إنه أخذ يُمْنِي نفسه بوجبة دسمة عندما يلتهم الأم نفسها بعد قليل، غير أن العنزة الأم استجمعت شجاعته، وهجمت على كبير السحرة وبقرت بطنه بقرنيها وأخرجت ولديها وهما لا يزالان على قيد الحياة وعادت بهما إلى الحظيرة... وفي هذين المثالين يتم تقديم الإنسان في صورة الشرير دون حاجة إلى مسافة معينة؛ لأن الدور التربوي الأول تنهض به وظيفة التمثيل، وتستحق تأملًا وتوسُّعًا تحليليًا لأنها طريقة الحاكي في الوصول إلى غايته من سرد الحكاية.

(1) ينظر ملحق الحكايات.

(2) ينظر ملحق الحكايات.

إن التمثل من خلال الشخصيات البشرية في الحكاية يعني كما سبق ذكر ذلك: فعلًا ذهنيًا به تحصيل المعرفة، كالإدراك الحسي، والتخيل، والحكم من جهة ما هي باعثة على حصول صورة الشيء في النفس، وتسمّى هذه الظواهر بالظواهر العقلية، وهي مقابلة للظواهر الانفعالية والفاعلة ⁽¹⁾، وأساس العملية كلها مقايضة أمر بأمر ومثال بمثال، ومعنى ذلك أن المتقبل الصغير يدرك من خلال التأمل العقلي والبعد الحدسي الكامن فيه أن فعل تلك الشخصية شر يجب الانتباه إليه وتركه، وأنه ليس مثالًا ليتبع، بل الأولى رفضه ذاتيًا لاتصاف تلك الشخصية بصفات لا تُقرّها النفس، ولا تميل إليها، مثل الطمع، والجسارة، والظلم، والاعتداء على الآخر وسلبه حقه، بل لإتيان تلك الشخصيات أشنع فعل إنساني وهو القتل من أجل المصلحة الخاصة، وهو عمل إجرامي مدان. وهذه المعاني تتخلق بالفطرة وبالاكتساب، وتصبح ركيزة الوعي البشري من خلال النموذج الذي تقدمه الحكاية الشعبية.

- قيمة الاختيار الذاتي الإيجابي:

في إطار تحليلنا لمسألة علاقة الشر والخير بمضامين الحكايات وما تسهم به الحكاية الشعبية من ترسيخ المواقف الخيرة لدى جيل الأطفال، وما تدفعه عن إدراكهم من قيم الشر والظلم والاعتداء، نقف على نتيجة مهمة هنا، وهي: إن الحكاية الشعبية تُربي مناعة ذاتية لدى الأطفال من المواقف السيئة والسلبية والأفكار السلبية التي تغذي الشر عندما تخلق فيهم ما يمكن أن نسميه: الاختيار الذاتي الإيجابي، وهو مسألة مكتسبة تأتي من التربية ومن وسائلها الذكية، ومن أهمها الحكى؛ أي رواية الحكاية مباشرة على الأسماع.

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مادة (تمثل).

تعمل طاقة الاختيار الذاتي عمل الحدس المنبه إلى سوء الفعال وسيئ الأعمال، على سبيل التحذير والترهيب، وهي عوامل مهمة لا يتلقاها الطفل بالإكراه، وإنما يقرؤها بوعيه في أمثلة (حكائية)، ومن خلال الشخصيات الحيوانية، وهنا يصبح الإحساس السليم بأن فعلًا ما من قبيل الخير والآخر من قبيل الشر شيئًا فطريًا، وهو أجمل ما تحققه الحكايات من ناحية تربوية، وربما يكون أفضل ما في الحكايات الشعبية مما لا تقدر عليه أغلب وسائل التربية المباشرة ووسائطها التعليمية والوعظية.

وكان الحكاية الشعبية إذن تعلّمنا أن المعاشية الفعلية للتجربة التي تمثلها الشخصيات وهي تخوض غمار الأحداث من أفضل وسائل التعليم المتعلقة بالقيم التربوية وحتى الأخلاقية، وأنها أولى من الوعظ والأمر والنهي، بل إن تلك الوسائل التقليدية قد لا تنفع في تغيير سلوك الناس ولا تعليمهم شيئًا يُذكر إذا كانت جافة معزولة عن وسائل الإمتاع الوجداني والذهني والنفسي، بينما تتوفر في الحكايات تلك العناصر الترفيهية والتخيلية فتحجب الإكراه وتُبعد شبح الإجبار ومقولة العقاب والجزاء. وقد رأينا أن مقولة "الجزاء" الذي يحظى به فعل الخير من الشخصيات موجود في الحكاية الشعبية في حكاية عوشانة والذئب (فازت بكنز من ذهب) وفي حكايات أخرى كثيرة؛ ما يعني أن هذه الجائزة المحفزة على الفعل الخير حاضرة في الوعي أيضًا، ودافعة إلى الاقتناع الذاتي بأن طريق الخير أحسن للإنسان من طريق الشر، وتلك في مسائل التربية من أصعب الأشياء التي يختار التربويون في إيصالها بعيدًا عن الإكراه والتهديد بالعقاب والوعيد به.

2- القيم التربوية الوسيطة في الحكايات: القيم الجمالية، والوقائية، والتوجيهية

تنهل القيم الوسيطة من منزلة مخصوصة في الحكايات الشعبية لكونها ليست متصدرة اهتمام السامع بشكل مباشر، وإنما قد تتخفى في غضون السرد أو في غضون الوصف المتعلق بالشخصيات، ولأنها أقل قيمةً في الواقع من القيم الغائية، فلا يتم التركيز عليها عادةً من قِبل الدارسين الذين أَلْفُوا إعطاء القيم الإنسانية العليا منزلةً أسمى، وحقّ لهم ذلك طبعاً، ولكن المتأمل في القيمة التربوية للمعارف التي يتلقاها الطفل يلاحظ أن القيم الوسيطة لا تقل قيمةً أو أهميةً، وقد تعلق أحياناً فتضارعها في المنزلة والمكانة لأنها صورة للتربية الجيدة والسلوك الحسن الذي يميّز بين شخص وشخص، بين متحضر عارف بكيفيات الحياة الموفقة، وآخر ليس له في هذا الجانب نصيب مع أنه مقتنع بالقيم العليا الغائية.

والقيم الوسيطة التربوية تتعلق بكيفيات التعامل البسيط في الواقع، من قبيل تقدير قيمة النظافة، وحب العمل والعلم، وحب الطبيعة والحفاظ على البيئة، وتقدير العادات، وتوقير الكبير، والإحساس بجمال الطبيعة والأشياء من حولنا، وهذه ترتبط بالبعد الجمالي الذي ترعاه الحكاية في تكويننا، ومنها ما يتعلق بحفظ الصحة والبدن والوقاية من المخاطر اليومية، والعناية بالهيئة وحفظ المال، ومنها ما له علاقة بنمو الشخصية وتدرجها الاكتشافي على أعتاب الحياة، مثل معرفة قيمة الجرأة ونقيضها الاستكانة والقيادة ونقيضها الخضوع، وتعلم حسن التكيف مع الظروف، وزرع الرغبة في النجاح والطموح في السعادة وبهجة الحياة، وحسن التخطيط للمستقبل.

إن هذه القيم موجودة بنسب في الحكايات الشعبية الإماراتية، وهي -كما أسلفنا-

مهمة جدًا في العملية التربوية، وإن كانت في تصنيف الدارسين أقل قيمة من القيم العليا التي عرضنا نماذجها سابقًا. والاختيار الذي سارت عليه هذه الدراسة هو عدم بخس هذه القيم والمعايير النبيلة للسلوك حقها في أن تكون نبراس التربية الجيدة للأطفال؛ ولذلك تم البحث في الحكايات الشعبية عن اتجاهات ميولها وغاياتها -المباشرة وغير المباشرة- عبر وسائطها المتعددة.

أ: حب الطبيعة والحفاظ على البيئة وعناصرها:

تَحْضُر الطبيعة وعناصرها في الحكايات الشعبية الإماراتية متوجّه الأحداث، أو ملتصقة بحركة الشخصيات، أو مشكّلة فضاء الفعل القصصي، أو شخصية تامة الشروط مثلما الأمر في حكاية "عوشانة والذئب" عندما تتدخل السدرة في بحر الحكاية، وبلغظ الراوي: "نظرت إليها سدرة الخير، وقالت: أحسنت صنعًا يا عوشانة الشجاعة! لقد خلّصت الصحراء من الذئب الشرير؛ سأقدم لك مكافأة قيمة على شجاعتك، احفري يمينًا بالقرب مني، وستجدين صندوقًا من الذهب الخالص". فهنا تبدو عوشانة في علاقة تواصل وجداني وثيق وجميل مع السدرة الخيرة التي ثمّنت عملها وما قدمته للصحراء من جميل عند تخلصها من الذئب، فالمصالحة الوجدانية مع الفضاء المكاني ومع العنصر النباتي هو تماهٍ راقٍ مع الطبيعة، ولا شك أنه لا يمكن لأي وسيلة أخرى غير الحكاية أن تبثه في الطفل، ومثال هذا في حكاية غاية والحنيش ⁽¹⁾.

وفي حكاية "كنا كنا"، يتماهى الإنسان مع عنصر آخر من الطبيعة، هذه المرة يكون طائران بمثابة ابنٍ يرّى، وجمال الصورة (الحكاية) وشاعريتها في رسم هذه العلاقة بأبسط وسائل السرد والوصف، وبجعل الأحداث كلها مدارها ذلك الطائر المفقود الذي يتم استرجاعه في الأخير.

(1) الحكاية الثانية في الملاحق.

وَيُعَدُّ هذا في علم النفس خادماً لحاجة التعويض الأساسية في فهمنا لطبيعة العلاقات الإنسانية، وكذلك للعلاقات بين الإنسان والطبيعة، والتعويض (بالإنجليزية: Compensation) ⁽¹⁾ في علم النفس هو إستراتيجية تتم بصورة واعية أو غير واعية، يحاول من خلالها الشخص التغطية على ضعف، أو رغبة، أو إحساس بعدم الكفاءة أو العجز في أحد جوانب الحياة، عن طريق الإشباع أو التفوق في جانب آخر، ويمكن أن يساعد التعويض الإيجابي الشخص في التغلب على الصعوبات. وهناك نوعان من التعويض السلبي:

التعويض الزائد: ويتميز بأهدافه العالية، ويمكن أن يؤدي إلى الكفاح من أجل السلطة، والسيطرة، والتقدير الذاتي.

التعويض الناقص: ويتضمن طلب المساعدة، ويؤدي إلى نقص الشجاعة والخوف من الحياة.

وتحقق حكاية "كنا كنا" تعويضاً إيجابياً زائداً بامتياز؛ لأنها ترتبط بتوجه الشخصيات نحو الفعل الإيجابي من بداية الأحداث إلى نهايتها.

ب- حفظ المال، والعرض، والبدن:

تزخر الحكايات الشعبية بهذه المعاني، وتقدمها إلى المتلقي من جيل الأبناء في شكل نصائح خفية من خلال لعبتي الترميز والتمثيل. فمثلاً نجد في الحكايات التي تكون شخصياتها حيوانية حرصاً على مسألة حفظ الجسد والصحة والحياة، ومثال ذلك في حكاية "الحمامتان والثعلب"، وفي حكاية "الراعية والغنم" ⁽²⁾ ، وفي وصية الغراب لابنه في حكاية "أخاف حصاته في ثبانه" ⁽³⁾ ، مع أن معانيها أبعد من ذلك، وفيها تحذير من الخيانة بشكل عام،

(1) Christopher Lasch (1979). The Culture of Narcissism: American Life in an Age of Diminishing Expectations. New York: Norton.

(2) ينظر ملحق الحكايات.

(3) ينظر ملحق الحكايات.

وكذلك في "أنثيف أنتيفان" ⁽¹⁾ ، وهو بطل من ذوي الاحتياجات الخاصة. واعتراقاً بجهودهم الملحوظة في تحقيق الإنجازات والتغلب على جميع التحديات في مختلف الميادين الحيوية في الدولة، قررت حكومة دولة الإمارات تسمية فئة ذوي الإعاقة بأصحاب الهمم، مع الحفاظ على المسمى الدولي المتعارف عليه (الأشخاص ذوو الإعاقة)، حيث ينجح أنثيف في الدفاع عن سلامة إخوته، وفي كل هذه الحكايات تأتي القيم الوسيطة في غضون الأعمال (الحكاية) وفي سير الشخصيات لتبرز معنى يدخل في اللاوعي الطفولي ويستقر فيه موجّهاً لسلوكه المستقبلي نحو أفضل الأفعال وأحسنها.

ج- قيم الاحترام، والتقدير، وحسن التعامل:

نقرأ في الحكايات الشعبية الإماراتية أمثلة كثيرة من نماذج هذا السلوك القويم المتعلق بضرورة احترام الأكبر سنّاً كما في حكاية الهَبان ⁽¹⁾ ، أو تقدير الأمير لمخدومته وغفرانه لأخطائها، وهو مسألة مهمة في الحياة الاجتماعية كما في حكاية سيف الأمير ⁽²⁾ ، فقد تفهم شعورها الأمومي البسيط، وكذلك في العلاقات المتشابكة بين الشخصيات الحيوانية حيث يبرز الاحترام للكبير والجار، وغير ذلك من هذه العلاقات المهمة من ناحية اجتماعية، وتدل على مدى الترابط بين أفراد المجتمع الواحد ومدى سلامة العلاقات الاجتماعية بشكل عام.

وأدب الحيوان الذي يُدرج الحيوان ضمن "ضمائر الكلام" حيناً، ويكتفي بمجرد الإخبار عنه حيناً يسمى الحكاية الحيوانية، وهو المصطلح المناسب وقوامه الصّريح لحلول "كائن لا عاقل" محلّ الإنسان على صعيد الفعل أو أدوار الشخصيات أو «الفواعل». وقد يكون من الجائز أن نميّز هذا الجنس من خلال

(1) الحكاية الثانية في الملاحق.

(2) الحكاية الثانية في الملاحق.

(3) الحكاية الثانية في الملاحق.

التَّوْبِيهِ بما تنطوي عليه الحكايات المنسوبة إليه من غايات أخلاقيّة، ومقاصد تربويّة، ومضامين اجتماعيّة وسياسيّة على نحو ما تفعل كثير من الدّراسات والمقاربات التي تتناول هذا الأدب. وهو على أيّ حال تميّز ينبغي الاستئناس به في فهم هذا الأدب من منظور أنثروبولوجي، وهو في التقدير أدب بمعنى أدب الفكر، وفنّه، وجماله، وفلسفته، ومعنى أدب النفس وثقيفها وتربيتها في الآن⁽¹⁾. وحضور الحيوان في النّص الأدبيّ لم يكن مقطوعاً عن جذور أنثروبولوجيّة تشدّ وجود الإنسان إلى وجود الحيوان، فلقد تعلّم الإنسان من الحيوان كيفيّة الدّخار، وساعده ذلك على الاستقرار في المكان والانصراف إلى أعمال أخرى كجمع القوت؛ فالكلب الذي يدفن العظم، والسّنجاب الذي يجمع الجوز كي يستمتع في مستقبل أيّامه، والنّحل الذي يملأ الأقراص بالشّهد، والنّمل الذي يخزّن الطّعام لليوم المطير، إنّما هي حيوانات يعود إليها بعض الفضل في إبداع الحضارة نفسها.

ولئن كان "كليلة ودمنة" لابن المقفّع مركز الاهتمام الذي يعود إليه جلّ الدّراسات التي تتناول هذا القصّ لدى العرب؛ فإنّ ذلك لا يعني بالضرورة كون العرب لم يعرفوا الحكاية على لسان الحيوان إلّا في الكتب التي تدور في فلك القرآن أو في القرن الثاني، وإنّما عرف العرب هذا النمط منذ العصر الجاهليّ، كما تشهد بذلك قصص الجّكم والأمثال الواردة بتفاوت في أمثال المفضّل الضّبي (ت 170 هـ)، وفي "جمهرة الأمثال" لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، وفي "مجمع الأمثال" للميداني (ت 518 هـ)⁽²⁾.

يمكن أن نستنتج مما سبق أن أنساق الحكاية الشعبية التي موضوعها

(1) بيومي، محمد أحمد: الأنثروبولوجيا الثقافية، بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ط1، 1983، ص10.

(2) المرجع نفسه، ص10.

الحيوان يكون مؤداها أنها حكاية إيحائية في الأساس، تؤخذ من عالم الحيوان لتشير من خلالها إلى معانٍ إنسانية كما هو الشأن في القصص القديم، ويمكن أن نرى بوضوح من خلال هذه الحكايات أنها الأقرب إلى نسق التعليم والتربية الموجهة للأطفال، فما أسهل أن يقتنع الطفل بمعنى مستوحى من حكاية بطلها الحيوان، ومن ذلك حكاية "دينوه وأرباب"، وهي حكاية العنزة التي دافعت عن أولادها أمام السحرة وانتقمت لنفسها من اعتدائهم على فلذات كبدها، واستعادتهم بعد أن هلك السحرة على يديها، فجاءت هذه النهاية السعيدة للحكاية لترسخ انتصار قيمة الخير على الشر، ويمكن أن تكون حكاية العنزة مثالاً يُحتذى في تعلم الأطفال معاني سامية مع مراعاة أوضاعهم النفسية، كما أن تحقيق انتصار الخير يربي فيهم الاعتزاز بكل خير يلتمسونه في حياتهم من خلال التجارب والوقائع، وفي المقابل، فالشر واضح لا يغيب عنهم، ويمكن للطفل أن يدركه بفطرته ومن خلال تفاصيل الحكاية.

وترتبط الحكاية الشعبية بالفلكلور ارتباط الجزء بالكل، وارتباط الموروث الحكائي الشعبي بالإطار العام الذي يكتنفها، ويدعونا هذا الربط إلى شرح معنى الثقافة في هذه السطور لأهميته ولارتباطه بمصطلح الأنثروبولوجيا والغاية منها.

د- القيم المستمدة من العُرف:

الثقافة: هي صورة الإبداعات الفكرية والفنية والأدبية في عالم الإنسان، ووجه تحضره وإضافته التي يقدمها إلى العالم بسماته الخاصة، مستمدة من الأعراف السائدة، وهي ملونة بخصوصية الانتماء إلى هوية الأمة أو الشعب، وميزة التفرد في العرف: المحافظة على ما يجمع الناس كلهم من مشاغل ومضامين يومية تصبح بالعادة من الثوابت الاجتماعية، وتتكون من فرعين: **ثقافة ظاهرة**؛ تبدو فيها الهياكل البنائية الفكرية في مجتمع ما من خلال أشكال التعبير والمنتج

الفكري المعبر عنه بسائر الأشكال الإبداعية ومنها الفن والأدب. وضمنية؛ ويُقصد بها الوجه الخفي الذي يُقرأ من وراء تلك التصرفات الواقعية، فيتبين الدارس منها الخصوصيات الثقافية لشعبٍ ما، فعناصر الثقافة تتبدى عندما ندرس كيفية انتظام فكر ما في أشكاله العرفية، ومساهمة تلك الأشكال في ترسيخ العادات والآداب والقيم التي تصبح بعد ذلك قابلة للاكتساب والتعلم⁽¹⁾. والملاحظ اهتمام الحكاية الشعبية الإماراتية بترسيخ القيم المستمدة من العرف، مثل:

- توقيير الزوجة لزوجها ودعائها له عند خروجه من البيت في حكاية "كنا كنا"، ومثاله في البيئة العربية معروف دون كثير من شعوب العالم، وهو من جماليات العلاقات الاجتماعية العربية وما تشيعه من دفء العواطف والأحاسيس في الأسرة، وما تصوّره من توكل على الله. وهنا يمتزج العُرف بقيم الخير امتزاجاً أصيلاً كما نقرأ في هذا المقطع: "بعد فترة من استمرار الزوج في العمل، جمع مبلغاً من المال يكفيه لبدء عمل خاص به، فقرر السفر وجني المزيد من الأرباح، قال: "لقد قررت السفر للمتاجرة بالمال الذي جمعته من عملي". فأجابته زوجته: "إنني أدعو الله بأن يوفئك دوماً". قال الرجل: "نعم، فالتوفيق لن يكون إلا بركة الله عز وجل".

- مساعدة الصغير للكبير كما في حكاية "بديحة بديحوه"، حيث نقرأ في بدايتها: "يُحكى فيما مضى أنّ فتاة جميلة تسمى عُويش، كانت تعيش مع والدها الصياد الفقير وتعمل معه في الصيد، فيخرجان باكراً في الصباح ولا يعودان إلّا في آخر النهار". وفيها معنى طاعة الوالدين، حيث يساعد الأبناء الآباء في طلب الرزق منذ القديم في البيئة العربية، وربما تغيرت هذه المفاهيم العُرفية

(1) بيومي، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص10.

في بعض المجتمعات اليوم. وفي حكاية "الراعية والنمر"، تبدأ الحكاية بتقرير العرف أيضاً: "راعية لطيفة ترعى الغنم والماشية، تعرضت في يوم من الأيام إلى عاصفة مطرية هوجاء، فهربت منها، واختبأت مع أغنامها في كهف كبير".

- الخروج إلى المقيظ في حكاية "أم الهبان"، وكذلك في حكاية "دينوه وأرباب"، حيث نقرأ في بدايتها: "يحكى أنه في سالف العصر والأوان، وفي زمن غير هذا الزمان، ارتحل قوم عن ديارهم في أيام الصيف إلى المقيظ، وتركوا خلفهم عنزة أليفة كانت على وشك الوضع.". وهي عادة عُرفية إماراتية أصيلة في تربية الحيوانات والعطف عليها.

والملاحظ في القيم العرفية أنها من طبيعة عملية واقعية، ومن ناحية فنية، فإنها تبرز في بدايات الحكايات كأنها تلفت نظر المتلقي (الطفل) إلى عنصر من عناصر الانتماء إلى البيئة الثقافية المحلية، والملاحظة الثالثة أنها أعراف تتماهى مع الواقع، كما أنها -على أي حال- تبقى من القيم الوسيطة الملتصقة بالتصرفات والأعمال اليومية البسيطة المعتادة.

وإذا استرسلنا في تحليل هذه الحكايات، فإنها ولا شك تفاجئنا بمفاجئات سارة؛ منها أن في الحكاية الشعبية ما يدل على التحرر من ربقة العادات التي لا تَمُتُ للمنطق والواقع بصلة. وفي الوجدان الشعبي، تجعل القيمة الإنسانية الحياة نفسها بطعم السعادة المطلقة، وهو سر عميق في الحياة الإنسانية ليس موجوداً في كل الأسر أو المجتمعات بهذه القوة والشفافية.

وتساهم حكايات الحيوان في تشكيل وعي جديد بالقيم والأشياء، وهو مفهوم أنثروبولوجي يعني التحول الثقافي، وحسب ترجمة سمير الشيخ هو مصطلح يشير إلى العملية الدينامية التي بها تتحول الثقافة الحية في بعض أساليبها وقناعات أفرادها، وتكيف في ضوء تغييرات طارئة، وتتأثر بعوامل ثقافية

خارجية. ويقدم توماس روكون تفريقاً بين ثلاثة أنواع من التحول الثقافي:

- اعتناق القيم، ويعني ذلك إحلال قيم جديدة محل القيم القديمة.
- خلق قيم جديدة وأفكار جديدة تنسجم والأوضاع المستجدة في حياة الناس.
- التطور القيمي، ويكون من خلال الربط الفكري بين الظواهر غير المترابطة من قبل (1).

والملاحظ تكيّف الذاكرة الشعبية مع القيم التي ترسخها حكايات أبطالها من عالم الحيوان. والتكيف من وظائف الشخصية الحيوانية في الحكاية، وهو ترجمة لمصطلح (adaptive strategy)، ويشير المصطلح إلى طرق التأقلم، والتعود، والالتفاف مع أمر طارئ أو ظرف مستجد يدخل في عادات الشعوب، ومن ضمنها الأحداث التي تعيشها، ويمكن ألا تكون واضحة للفرد أو الفاعل الاجتماعي من خلال شخصية الحيوان؛ ولذلك يرصد الدارسون الأنثروبولوجيون إستراتيجية التكيف في العمل الاجتماعي نفسه الذي يهتم الجماعة لا الفرد، وبالتركيز على السلوك الإنساني، من خلال شخصية الحيوان وما يطرأ عليه من تغيير داخلي أو خارجي، ومعاينة الثابت والمتغير، وأشكال النمو والانحيار في أساليب الحياة وغيرها، ويعاينون توفير البدائل لدى مجموعة ما من الناس وما تساعد على من أخذ قرار التغيير انطلاقاً منها (2).

(1) الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية، ص67.

(2) سيمون، سميث شارلوت موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ص67.

4- الاستنتاجات والتوصيات

- هدفت هذه الدراسة إلى دراسة القيم الأخلاقية والتربوية في حكاية الطفل الشعبية الإماراتية، وقد توصلت الدراسة من خلال هذا الجهد إلى ما يأتي:
- لاحظنا غلبة القيم في بُعدها الاجتماعي الثقافي على الحكايات الشعبية، وهذا طبيعي في ثقافتنا العربية عامة وفي ثقافة شعب الإمارات كذلك، فهو يبقى ملتصقًا بنواميس الهوية العربية الإسلامية التي ينتمي إليها، معبرًا عن اعتزازه بها في حكاياته الشعبية؛ ولذلك مثلت روابط الهوية رصيد القيم الغائبة الأول، وأتت في سُلم القيم جميعًا، ومنها على سبيل المثال: الصدق، والحق، والخير، ولها ما يضادها من قيم سلبية لا يمكن التغافل عن حضورها في الحكايات حضورًا موجهًا من الراوي/الحاكي، وموظفًا بتقنيات السرد والوصف ليشير إلى ضرورة تجنُّبها والتحذير من مخاطرها.
 - وعلى هذا الأساس، فالقيم الغائبة في الحكايات الشعبية لا تَرُدُّ مسقطه على الفاعلية السردية، وإنما هي امتداد للبعد الفني/الإنشائي، ومرتبطة به ارتباطًا وثيقًا، وقد يقع بينهما اتحاد وتمازج في أمثلة كثيرة رأيناها من خلال الدراسة العينية؛ ما يعني أن الثقافة الشعبية الإماراتية المحلية لم تشذ عن القاعدة في خواص الثقافة العربية عمومًا عندما تبذل للراوي/الحكائي مهمة التثقيف والتوعية والتوجيه من خلال وظيفته تلك، فتضع بين يديه المعطى التربوي والمعطى الاجتماعي العُرفي ليحولهما إلى سحر الكلمة ونسجها السردية وصورها البديعة في سلوك الشخصيات (الحكائية)، وهو الدور المهم الذي كان القُصَّاص يؤدونه في حياة مجتمعاتنا العربية على مرّ التاريخ.
 - والملاحظ أن التنوع في الأشكال (الحكائية) بين خيالية وواقعية، وبين

توسل بشخصية الحيوان أو اعتمادها على الشخصيات الإنسانية، وبين اختيار الفضاءات المفتوحة أو المغلقة، والأزمة السحيقة قدمًا أو القريبة من الحياة الواقعية الحديثة، كل ذلك كان في الحكايات خادماً لمقاصدها العليا المتمحورة حول "القيمة"، وكانت لذلك اختيارات موفقة في أغلبها ومساعدة على إيصال مخزون القيم الغائية أو الوسيطة إلى متلقيها من جيل الأطفال والأحداث، كأنما كانت المخيلة الشعبية واعية بمقدار ما لهذا التنوع من أهمية في العملية التربوية والتوجيهية؛ لأنها تغري السامعين بعوالم الحكاية إغراءً دائماً؛ وهو ما يجعلها في النهاية معيّنًا لا ينضب من زاوية تربوية.

أما القيم الوسيطة التي أوليناها اهتماماً في القسم الثالث من الفصل الثاني، فقد تبين أن بعدها التوجيهي يخدم البعد التربوي خدمة مميزة، ومن بين ما تمّ رصده من قيم: حب الطبيعة والحفاظ على البيئة وعناصرها، وحفظ المال والعرض والبدن، وقيم الاحترام والتقدير وحسن التعامل، والقيم المستمدة من العرف، وجميعها صارت له مكانة مهمة في سياسات التربية والتعليم المعاصرة في كل بقاع الدنيا، بل إن الإنسان المتحضر اليوم -الذي يصح عليه الوصف بأنه ابن زمانه وعصره- لا بد أن يعي قيمة هذه الآداب الاجتماعية الوسيطة في حياتنا المعاصرة؛ ولذلك ينبغي أن يسهر على إيصالها إلى أبنائه دون إكراه أو إلزام، بل من باب الاستمالة والرفق والترغيب بوسيط هو الحكاية الشعبية؛ حيث تلقي عليهم برداً وسلاماً، وحفزاً وتشجيعاً، وإغراء وترفعاً، وتلك إستراتيجية الحكاية الشعبية عندما تخفي في الظاهر قيمها الوسيطة فلا تصرح بها، وإنما تضمهرها وتخاطب بها اللاوعي الطفولي وهو يتشكل، وينحت، ويتطور مستمعاً للحكاية.

- كما تبين من خلال هذه الدراسة دور البعد التمثيلي للشخصيات الحيوانية في الحكاية الشعبية الطفولية، ودور ذلك في إيصال البعد القيمي

والإيفاء بشروط التوعية والتوجيه من خلال الحكاية الشعبية، ومثاله في الفصل التطبيقي الثاني من الدراسة.

ومن التوصيات التي نخلص إليها في نهاية هذه الدراسة:

- يمثل التراث اللوحة الأكثر وضوحًا في التعبير عن أصالة الشعوب، وهو أحد أهم مقومات وجودها وبقائها؛ لذلك من الضروري توظيف هذا الجانب الهام من حياتها توظيفًا يتيح للنشء والأجيال التعرف على تراثه كما يجب، ويطلع على الفترات المشرقة من ماضي أسلافه.
- تُعدّ الحكاية الشعبية الحلقة الكبرى في التراث الأدبي الشعبي لأنها تمثل التقاء الماضي بالحاضر التقاء الأجداد بالمعاصرين؛ وهو ما يجعلها أقرب الأشكال الأدبية إلى الأطفال.
- مرّت الحكاية الشعبية منذ ظهورها بأطوار عديدة، أضيف إليها وحُذِفَ منها الكثير من الحكايات طيلة هذه الفترة حتى وصلت إلينا بشكلها النهائي الذي نعرفه اليوم، فما الذي يمنع تبسيطها وتقديمها للطفل بشكل يلائم الحياة العصرية التي يعيشها الطفل لمواكبة حركة التطور، وتحوير بعض الحكايات الشعبية التي أعقبت حركة التدوين وكانت مكملة لها
- استثمار الأدب الشعبي -ومنه الحكايات الشعبية الموجهة للطفولة- بإعادة صياغتها في موضوعات تتناسب مع مدارك الأطفال وتنسجم مع مستوى نضجهم (العقلي، والانفعالي، واللغوي) بعد أن تتناسب فيها الحوادث المنطقية، وبشكل لا تُغفل فيها معطيات العصر الذي يعيشه الطفل، ثم تُعرض بأساليب مشوّقة ومثيرة تحفّز خيال الطفل وتستثير عواطفه، وتعمل على تعميق انتمائه الإنساني، وغرس قيم جميلة في أعماقه، وتنمية ذائقته الجمالية، وليكتمل عنصرًا "الموضوعية والتشويق" في المادة المستلهمة، وتحقق كذلك الغايات

التربوية والترفيهية.

- ضرورة أن يدرك الحاكي الشعبي المعاصر، أو كاتب القصة الموجهة للطفل اليوم، أن الأهم في تعليم القيم ليس التركيز على القيم العالية الدرجة والغائية منها بأسلوب الوعظ المباشر المعبأ بآلة الترهيب فيثقل على الأئدة، وإنما عليه أن يفكر في الاستفادة من الحكاية الشعبية الموروثة وأساليبها الناجعة في حفزها للاوعي ليتخذ مواقف ذاتية من الظاهرة أو الحدث أو القضية المطروحة في الحكاية، وهو ما أسميناه: بحفز الاختيار الذاتي؛ أي أن يستبطن الطفل القيم ولا يشعر بأنها مفروضة عليه عندما يتمثلها في سلوك الشخصيات أساسًا.

- ولا يعني ما حُدد في هذه التوصية الأولى تقليلًا من أثر القيم العليا الغائية، فتلك من الثوابت التي لا غنى عنها، وهي موجودة بالضرورة في غايات الحكاية، ولكن كيفية إيصالها هي ما يجب الانتباه إليه. ومن هنا، فمن الضروري العناية بخطاب الحكاية، فقد لا تكفي المواعظ المباشرة في القصص لتلبية حاجيات الطفل الصغير اليوم، الذي صار يتحدث لغة أخرى جديدة وهو يستقبل عالمًا صارت فيه الحدود الجغرافية تشهد انفتاحًا لم تشهده من قبل، وصار العالم فيه قرية واحدة متصلة يتواصل أفرادها بعضهم مع بعض، وصار العالم هو عالم الصورة بامتياز. ومن هنا، فمن وسائل الحكاية الشعبية جعل الصور الذهنية/ التخيلية شديدة التأثير، وهنا تتقاطع مع عالمننا الجديد المتغير، ومثال ذلك العناية برسم الشخصيات المركبة، مثل شخصية (أنتيف) على سبيل المثال، أو كذلك الشخصيات الحيوانية التي تتبادل الفعل مع الشخصيات الإنسانية (في حكاية الفأر المكار، ودجاجة ميثانة، وغير ذلك من الأمثلة)، ومن هنا تتكامل ملامح الخطاب التحفيزي مع لغة الخطاب ومع الصورة المرسومة للشخصية،

وهي ثلثية مهمة جدًا في نجاح بُعد التأثير للحكاية (أو للقصة) الحاملة للقيم والموجهة للطفل.

- لا تتعلق "القيم" في بعدها الإنساني بالأمثلة والنماذج التجريدية فقط، بل تلتقي كذلك بآداب السلوك ومعايير التأدب والتحضر، مثل مسائل تتعلق بحب الوطن والحرص على الطبيعة، واحترام المواعيد، وتقدير العمل وقيمة احترام الآخر والانفتاح عليه، والتواضع لكل الناس، والرأفة بالآخر. وهنا قد تتعامد القيم مع الآداب بمفهوم معاصر، وتربي في الناشئة سلوكًا محبّدًا يتماهى مع المعاني الإنسانية الجميلة التي تهم البشرية اليوم في سائر الدنيا؛ لأنها الإرث الإنساني المشترك الذي يجب المحافظة عليه، وتوجيه اهتمام الباحثين والدارسين وكاتبي القصة الطفولية إليه، استرشادًا بأساليب الأجداد في الإحياء من خلال الحكاية الشعبية، وأهمية هذه المسألة في توجيه الأنظار إلى أن الشخصيات السليمة والنفوس النقية والأرواح المحبة للخير تتربى على ذلك بالأمور البسيطة والعادات اليومية، فمثلاً: إذا تعلق صبي بزهرة وعایش حكايتها وتلمّس روحها الحية في قصة أو حكاية، فبالضرورة لن يَقلع شجرة، أو يدوس زرعًا، أو يفتك بكائن حي؛ لأن روحه تهذب بإحساس شفاف يقيه مثل هذه السلوكيات المشينة، وهو نفسه بالضرورة سيُقلع عن إيذاء أي مخلوق، أما من لم يستبطن هذا الشعور وهو طفل، فلا يُستغرب أن يكون غير مبالٍ بالطبيعة في غده.

- ولا يُنقص الإصرار على هذه التوصيات، والتركيز على القيم الوسيطة وآداب السلوك ورقيق المعاني في الحكايات التي يتلقاها الطفل، من قيمة المُثل الغائية الكبرى التي يُسهم المجتمع في تكوينها، وإنما ينمّيها ويزيدها متانة؛ فالمسألة الأهم التي ينبغي على القائمين على العملية التربوية مراعاتها: الوصول إلى تجانس بين القيم العليا والقيم الوسيطة، آخذين بعين الاعتبار ثلاثة

أمور في نسيج الحكاية (أو القصة) الموجهة للطفل:

● الأسلوب القصصي/(الحكائي): والأنسب للأحداث السرد الخطي المحكي بتسلسل زمني واضح؛ لأن بناء سردية متدرجة زمنيًا في الذهن يوصل المعنى دون تشويش، ومثاله في حكاية "سيف الأمير" مثلًا، فقد ظهرت القيم واضحة فيها كذلك.

● المكوّن النفسي: ويتضمن مؤثرات الحكاية النفسية التي تثير انفعالات الطفل أثناء سماعه الحكاية، وتثير مشاعره، وتستميل مواقفه تجاه الأحداث والشخصيات، وهنا إبداع الراوي (القاص/الكاتب)؛ لأن مفتاح التأثير الإيجابي يبدأ من هذه النقطة، ومن الضروري أن يجد الطفل نفسه في زوايا الحكاية (القصة)، ويجد جانبًا من ذاته واهتماماته، فالمكوّن النفسي هو ثمرة الأسلوب، ومن خلاله يسهّل إيصال القيمة إلى المتلقي.

● المكوّن الخيالي: وهو الذي يبرز في الحكاية من خلال عناصرها التشويقية وتصويرها للأماكن والأزمنة والأشخاص والأحداث، فكل هذه التفاصيل المترابطة يتقبلها الطفل لحظة الاستماع بخيال يصنعه في عالم افتراضي بأدواته الخاصة التي تحوّل الكلمات المسموعة إلى مشاهد شبه حقيقية يراها بعين البصيرة، ويعيشها وجدائيًا بمشاعره، ويفكر فيها بعقله. وعندما تكون عوالم الحكاية متخيّلة وغير واقعية، يُبدع خيال الطفل تلك المكونات بطاقة خاصة فيها لمسة الإبداع، وقد اعتنت به الحكاية الشعبية لفاعليته الكبيرة في إيصال المعاني والقيم، ولكن الحذر كل الحذر من المبالغة في تصوير العوالم المخيفة والمرعبة؛ فهذا الجانب ينبغي تقويمه واستدراكه في الحكاية الشعبية.

● المكون الإدراكي: وهو فاعلية العقل المنطقي عندما يفكر في الأشياء الواقعية، فيتعلم التحليل والتفكيك والجمع والاستنتاج والاستنباط، وهنا ينبغي

مراعاة جمالية الفكرة في الحكاية وطرافتها، وخروجها النسبي عن المألوف، وكذلك طرافة الوقائع والأحداث واتساق البناء الفني بقدرات صانع الحكاية على التصرف فيها والربط بينها.

الختاتمة

الحكاية الشعبية الإماراتية الموجهة للطفل من خلال هذه الدراسة، ومما سبق عرضه ومناقشته وتفصيله أظهرت أنها حمالة قيم وتجارب وحكم وأمثال للأجيال المتلاحقة، وهي تعبير شفاف عفوي عن البنيّتين الذهنية والنفسية اللّتين تؤسسان العلاقات الاجتماعية، فمن هذه الزاوية التي تكون فيها الحكاية صورة لواقعها، فإنها تحافظ على عناصر الهوية المشتركة من خلال قدرتها على تصويرها في شكل أحداث ومغامرات (حكائية)، بطرق مختلفة تتراوح بين الواقعية والخيالية، فتعكس بذلك قدرة عجيبة على استحضار التنوع الإنساني في حالاته المختلفة، وتصوير نماذج من خلال شخصيات الحكاية وأحداثها.

وقد عمدنا في غضون هذه الدراسة إلى الكشف عن أنساق القيم الداخلية في الحكايات محور الدراسة، لاستخراج المعنى الكامن فيها، واستكشاف ما تتوصل به من مباني (الحكي) لتصل إلى المتلقي الصغير، فكان المنهج المتبع يقوم على التحليل الداخلي لخصائص النص الذاتية وبنائه ونسيجه السردية. واعتماد هذا المنهج يساعد على الدراسة التكاملية المقارنة التي تستحضر دائماً الصلة بين عناصر الموضوع المدروس والغاية منه؛ ولذلك فهو منهج قائم على الملاحظة، والمقارنة، والوصف المكثف، وسبر الأبعاد، وقراءة الدلالات؛ ولذا فقد تم استخراج بعض تفاصيل الحياة الاجتماعية والثقافية والعرفية وتحولاتها في النسق (الحكائي) الشعبي، وبيان ما تؤول إليه تلك التفاصيل من ترسيخ للقيم الإنسانية أو الأخلاقية، وكيف تساهم أنساق (الحكي) الظاهرة والمضمرة في البوح بالمعاني الحكمية الجليلة والمأثورة التي فيها ما يرتقي إلى باب القيمة

الكلية ويصبح طريقًا متبعًا في تربية الناشئة وتوجيههم إلى فضائل الخصال، والأعمال، والمواقف.

وقد يكشف لنا كذلك (الحكي) الشعبي في موروثنا الثقافي ما نجهل من ذواتنا جماعات وأفرادًا، فالحكاية الشعبية رغم بساطتها أو "سذاجتها" كما يزعم البعض، إلا أنها أكثر الأجناس قدرةً على التقاط تفاصيل الحياة بمراحلها وتعدد مواضيعها، والنهوض بالوظيفة التربوية وغاياتها السامية في أجلّ صورها عندما تؤول إلى ترسيخ القيم المشتركة والحفز عليها.

والملاحظ أنّ الحكايات المدروسة لم تقتصر على السلوكيات الاجتماعية، وإنما ذهبت إلى تأسيس مواقف رافضة للظلم الاجتماعي بكافة أنواعه، مثل ظلم زوجة الأب، أو ظلم اليتيم، أو ظلم الزوجة، أو غير ذلك من الحالات الاجتماعية، وهي في الأساس قيم تضع الإصبع على الجرح مباشرةً عندما تنتقد أنساقًا سائدة من التفكير الاجتماعي، فها هنا لا تجامل الحكاية الشعبية في الإشارة مباشرةً إلى ما يهدد هوية الشعب وثقافته الأصيلة واستقرار العلاقات الإنسانية فيه.

وأما أنساق الحكايات العجائبية، فقد هدفت الدراسة إلى بيان ما تنطوي عليه من وصف للبنيّتين الثقافية والنفسية للإنسان في بيئته، وما تتلون به من الفضاء العامّ والعلاقات الخاصة، وما تستثيره من التخيل في الحكايات الخرافية والعجائبية، ومع ذلك، تبدو تلك الحكايات المشبعة بالعالم التخيلي في اتصال مع الثقافات الإنسانية والموروث البشري الثقافي المشترك بشكل عامّ، حاملةً الهموم ذاتها، والمشاكل الفكرية ذاتها، وأسئلة الإنسان المعرفية ذاتها. وتظل الأخلاق والقيم كنزًا إنسانيًا يجب تثبيته وغرسه في الناشئة بتوظيف الحكايات التي تلقى على أسماع الأطفال والأحداث، مع ضرورة الانتباه إلى لغة

الخطاب، وكيفيات النسج السردي الملائم لأعمارهم وحالاتهم الوجدانية المتشكلة والمتطورة، فالحكاية تبقى من أهم الوسائط التربوية والوسائل التعليمية التي إذا حَظِيَتْ باهتمام الدراسين، كانت رافدًا في إعداد النشء وتربية الفرد والجماعة، وعيًا في التوجيه، وإقرارًا بأهمية أسلوبها المباشر في احتضان الأحلام، والآمال، والقيم.

البلاحق الحكايات

الحكاية الأولى : كَنا كَنا (1)

قصة رجل فقير يجد طائرًا سحريًا يتفائل بوجوده في بيته، لكنه يختفي، ولا يستطيع الرجل استعادة الطائر فأل الخير عليه إلا حين يردد معه أمام السلطان اللازمة العامة الإماراتية: "كنا كَنا". كتاب يُعرِّف الصغار على هذه اللازمة من الموروث الشعبي.

كان يا ما كان في قديم الزمان، رجل فقير يعيش مع زوجته في بيت متواضع، كان الزوجان يعانيان من شدة فقرهما، لكنهما كانا صبورين على حالهما. وفي يوم من الأيام، وبينما كانا جالسَيْن في فناء البيت، دخل عليهما طائر غريب، كان طائرًا جميلًا وملفتًا للنظر، قالت الزوجة: ما أجمل هذا الطائر! فردّ زوجها: الله! يا لريشه الملون اللامع!

قالت: أمسك به يا عزيزي لنبقيه عندنا، أرجوك.
أضاف الزوج: حسناً. فأنا أيضاً أود إبقاءه عندنا!

أمسك الرجل بالطائر الجميل، ثم وضعاه في قفص، ووضعاه له بعض ما تبقى من غذائهما مع القليل من الماء. ومنذ ذلك اليوم، رعياه بحب، ووفراً له رعاية خاصة.

مرت الأيام وهما على هذه الحال من الفقر الشديد، إلى أن جاء اليوم الذي وجد فيه الزوج عملاً، وهكذا أنهى المعاناة الطويلة مع الفقر والحاجة، وتمكّن من تأمين رزق بيته وكفايته من العوز للناس.

قال الزوج: الحمد لله. لقد أمّن لي عملي الجديد حياة كريمة.

(1) المسلم، عبد العزيز: حكايات شعبية من الإمارات، الشارقة: كلمات للنشر والتوزيع، 2013.

*نبذة عن المؤلف: عبد العزيز عبد الرحمن المسلم شاعر وكاتب وباحث، إماراتي ولد في الشارقة عام 1966، ويشغل منصب رئيس معهد الشارقة للتراث. كتب في عدد من الصحف والمجلات الإماراتية، كما كتب في دوريات ومجلات عربية. ارتبط اسمه بالتراث الثقافي والحكايات الشعبية، منذ منتصف الثمانينيات. أعاد كتابة عدد كبير من الحكايات الإماراتية، كما كتب عدداً من الدراسات والأبحاث في التراث الثقافي، كان له دور في مجال التراث الثقافي محلياً وعربياً، مثّل الإمارات في منظمات دولية مثل اليونسكو والوايو الإيكروم إيريسكا.

فأجابته الزوجة: الحمد لله رب العالمين، هذا جزاء صبرنا.
وبعد فترة من استمرار الزوج في العمل، جمع مبلغًا من المال يكفيه لبدء عمل خاص به.

فقرّر السفر وجنّي المزيد من الأرباح، قال: لقد قررت السفر للمتاجرة بالمال الذي جمعته من عملي.

فأجابته زوجته: إنني أدعو الله بأن يوفقك دومًا.
قال الرجل: نعم. فالتوفيق لن يكون إلا ببركة الله عز وجل.
ثم أضاف: لكنني أوصيك خيرًا بالطائر، فهذا الطائر كان فأل خير علينا؛ لذا فمن الواجب العناية والاهتمام به.

فأجابته زوجته: لا تقلق يا زوجي الحبيب، سأقوم برعايته والعناية به.

قال: احذري من ترك باب القفص مفتوحًا حتى لا يهرب.

فأجابته: اطمئن. سأُنقذ وصيتك إن شاء الله.

وبعد سفر الزوج بأيام قليلة، وبينما كانت الزوجة تنظف القفص، هرب الطائر من بابه بسرعة فائقة، فلم تتمكن من الإمساك به، وحزنت المرأة حزنًا شديدًا، وقالت في نفسها: "يا للمصيبة! هرب الطائر هرب... هرب. لقد كان سريعًا فلم أتمكن من الإمساك به. يا لخجلي من زوجي الحبيب! ماذا سأقول له عندما يعود من السفر؟ كم أنا حزينة، حزينة!".

وعند عودة الزوج من سفره، أخبرته المرأة بأمر هروب الطائر، فوبّخها على إهمالها وتقصيرها، وحزن حزنًا كبيرًا على فراق الطائر.

وبقي الطائر في بال الرجل يبحث عنه كل يوم في جميع الأرجاء، في قرية والقرى المجاورة، ولكن دون جدوى.

وفي أحد الأيام، مرّ الزوج بـدكان تاجر هندي فوجد الطائر حبيسًا في قفص

صغير.

فرح كثيرًا عند رؤيته ودخل في الحال الدكان.

- مرحبًا أيها التاجر.

- ماذا تريد؟

فأجاب الرجل: أريد هذا الطائر الذي في القفص إنه لي، هو طائري.

- ماذا؟ هذا الطائر عندي منذ زمن بعيد!

لقد جئت به من الهند بعدما اشتريته بمبلغ كبير جدًّا! فأنا لن أفرط فيه أبدًا.

لم يصدق الزوج كلام التاجر الهندي، وخرج من الدكان قاصدًا بيت السلطان

ليشكو له أمره، لكن السلطان لم يقتنع بالأمر، وطلب دليلًا يُبَيِّن صدق كلام الرجل.

طلب من الرجل البقاء في القصر، وأمر الحرس بإحضار التاجر الهندي والطائر.

وعند حضور الهندي ومعه الطائر، أعلن السلطان قائلًا: سوف نرى الآن مَنْ هو

صاحب الطائر الحقيقي؟

سأل وزيره: وكيف ذلك يا مولاي؟

قال: فليتحدث كل منكما إلى الطائر باللغة التي اعتاد مخاطبته بها. فوافقا.

- ابدأ أنت أيها الهندي.

بدأ الهندي بالتحدث إلى الطائر، فأخذ يصقّر ويصدر أصواتًا متنوعة، وبعضها بدأ

مضحكًا، لكن لم تكن هناك أي فائدة من ذلك؛ فالطائر لم يستجب.

عندها أمر السلطان الزوج أن يبدأ بالتحدث إلى الطائر.

تقدّم الزوج من الطائر وقال: كُنَّا كُنَّا ⁽¹⁾.

فأجاب الطائر: عُونك أنا ⁽²⁾.

(1) الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والأنثروبولوجية، ص67.

(2) سيمور، سميث شارلوت موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ص67.

أكمل الزوج: لي عافوك الناس ⁽¹⁾ .

فقال الطائر: حبيبك أنا.

ابتسم السلطان عند سماع ردّ الطائر، وطلب من الزوج استلام طائره من الهندي. أما الهندي، فنال جزاءه على كذبه، وطلب منه السلطان الاعتذار إلى الرجل، والقسم أمام الجميع بأنه لن يحاول الكذب أو الاستيلاء على أشياء الناس وممتلكاتهم مرة أخرى.

أما الزوج، فعاد إلى بيته مع الطائر، يكاد يطير فرحاً.

سعدت الزوجة بعودة طائرها أيضاً، هذا الطائر المحبوب صاحب الفأل الحسن عليهما.

⁽¹⁾ لي عافوك الناس: إذا كرهك الناس.

كان يا ما كان، في قديم الزمان، فتاة جميلة اسمها "غاية"، توفيت أمها وهي صغيرة، فتزوج أبوها من امرأة أخرى، فأنجبت له الزوجة الجديدة طفلة أخرى، وكانت تحبها أكثر من أي شيء آخر، وبسبب فرط هذا الحب، فقد كانت زوجة الأب تعامل "غاية" معاملة قاسية، وتُكَلِّفها بأعمال البيت ويجلب الحطب من خارج القرية.

وفي يوم من الأيام، وبينما كانت "غاية" تحتطب مع صديقاتها، اكتشفت أنها قد نسيت الحبل الذي تربط به حزمة الحطب، فراحت تبحث عن حبل آخر ولكنها لم تعثر على شيء، وعندما قارب الوقت على الظلام استعجلتها صديقاتها للذهاب، فطلبت منهن فرصة أخيرة علّها تعثر على حبل، وفجأة ظهر لها حنيش، والحنيش هو الثعبان، وكان كبيراً فوقف في طريق غاية وقال لها: أسمح لي بأن ألتفّ حول حزمة الحطب بدل الحبل، وأساعدك على إيصالها إلى البيت. قالت غاية: ولكنني أخاف أن تؤذي. ردّ الحنيش: أعدك بالآأ أؤذك.

وافقت "غاية" على طلب الثعبان وسط صراخ ودهشة صديقاتها اللاتي هربن إلى القرية بأقصى سرعة، التف الثعبان حول حزمة الحطب، ثم قامت "غاية" بحملها وعادت بها إلى القرية، ولكن عند دخولها القرية، دهش الناس من هذا المنظر الغريب والمخيف، وأخذوا يتصايحون مُحذِّرين "غاية" من خطر الحنيش، ولكنها لم تكن تلتفت إليهم. وصلت "غاية" إلى البيت ومعها الحنيش، وعندما شاهده زوجته الأب،

(1) المسلم، عبد العزيز: حكايات شعبية من الإمارات، كلمات للنشر والتوزيع، 2010.

صاحت خائفة: لا تدخل بهذا الحنيش إلى البيت.

فأجابتها "غاية": لا. إنه حنيش طيب، لقد ساعدني في حمل حزمة الحطب.

وقامت "غاية" على الفور بإدخال الحنيش إلى حجرتها، وقدمت له الماء والتمر، وبعد أن أكل الحنيش وشرب، قال لـ "غاية": دعيني أطلب منك أمرًا سيكون منبع سعادتك في هذه الدنيا.

سألته "غاية": ما هذا الطلب؟

قال الحنيش: اطلبي من والدك أن يزوجني منك، ولو فعلت ذلك، فستهنئين إلى الأبد، وستنالين السعادة التي تحلمين بها.

وافقت "غاية" وذهبت إلى أبيها، وطلبت منه أن يوافق على أن تتزوج من الحنيش، فرفض الأب خوفًا على ابنته، فأخذت تتوسل إليه أن يوافق، ورغم محاولات أبيها المتكررة لردها عن طلبها إلا أنها أصرت، كما أن زوجة أبيها ساعدتها على هذا الأمر؛ رغبةً في التخلص منها، وهكذا جهّزت وُزِّت إلى الحنيش، وعندما أُدْخِلَتْ إلى غرفتها لم تجد الحنيش! بل وجدت شابًا وسيماً ففرحت كثيرًا.

قصَّ عليها الشاب قصته قائلاً لها إنه أمير من بلاد الأنهار السبعة، وإنه مسحور على شكل حنيش، وقد كان علاجه الوحيد ليعود إلى إنسانيته هو أن توافق فتاة جميلة على الزواج منه، وهو على هيئته تلك، وابتسم الأمير لـ "غاية" قائلاً: لقد جلبتُ لك الكثير من الذهب والمجوهرات، وسألبسها لك، وعليك أن تتظاهري بأنني أوديك.

أخذت "غاية" تصرخ، وتتظاهر بالألم وتقول: وا رقبتني! وا رأسي! وا يدي! بينما كانت زوجة الأب فرحةً بما تسمع؛ ظنًا منها أنها بذلك ستخلص من "غاية" إلى الأبد، وتُردّدُ زِيدُها... زِيدُها... زِيدُها..

وفي الصباح الباكر كانت المفاجأة، حيث خرجت "غاية" من حجرتها وهي مزينة

بالذهب والمجوهرات والسعادة تغمرها، وبجوارها أمير جميل، وقصّت "غاية"
القصة على والدها وزوجة أبيها، ثم غادرت مع زوجها إلى بلاده البعيدة.
وفي اليوم التالي، قالت زوجة الأب لزوجها: يجب أن تخرج للبحث عن ثعبان
لنزوجه لابنتك الثانية.

فرضخ الأب لأمر زوجته، وحمل مصيدته، واصطاد ثعبانًا ضخماً مُجَنِّحًا، وعمل
عرسًا كبيرًا لابنته، ودعا إليه الجميع وأخبرهم عن قصة ابنته الأولى اليتيمة،
وأنه جاء بهذا الثعبان كي يزوجه لابنته الثانية، وزُفَّت الأخت إلى الثعبان، وبدأ
صراخها فور دخولها الحجرة، وكانت الأم فرحةً بما تسمع؛ ظنًا منها أن ما يحدث
لابنتها هو ما حدث لـ "غاية"؛ فصراخها يعني أن زوجها الثعبان يُلبسها الحلي
والمجوهرات، فكانت تردد مع كل صرخة «فَالْكُ من فال أخويَتَكُ». وفي الصباح
الباكر، فتحت الأم باب الحجرة، وإذا بابنتها ميتة، والثعبان قد هرب من الحجرة.

يحكى فيما مضى أن فتاة جميلة تسمى عويش، كانت تعيش مع والدها الصياد الفقير وتعمل معه في الصيد، فيخرجان باكراً في الصباح ولا يعودان إلّا في آخر النهار. وقد كانت حياتهما بسيطة وبائسة؛ إذ كانا بالكاد يحصلان على قوت يومهما؛ فالبحر لا يوجد دائماً بالخيرات. وفي الجوار، كانت تعيش أرملة مع ابنتها التي لم تُؤتَ قَدْرًا كبيرًا من الجمال، وقد اعتادت هذه الأرملة أن تجلس أمام باب بيتها لتراقب جيرانها في ذهابهم وإيابهم. وفي أحد الأيام، نادى الأرملة عويش وسألتها: لماذا لا تُسرّج أمك شعرك؟

فردت الفتاة بحزن: لأن أمي قد ماتت منذ زمن بعيد، وتركتني أعيش مع والدي. فأعربت الأرملة عن أسفها، وأخذت تمشط شعر الفتاة برفق وحنان، ثم أعطتها سلة من الطعام، وقُرْبَة من الماء العذب.

فعادت عويش إلى أبيها وقد بدت على وجهها علامات الفرح والسرور؛ فابتهج الأب لرؤية ابنته سعيدة، وتمنى لها حياة هائلة على الدوام. بقي اهتمام الأرملة بالفتاة وعطفها عليها فترة من الزمن، ففي كل يوم كانت تسرّج لها شعرها، وتقدم لها ولأبيها ما طاب من الشراب والطعام. وفي إحدى المرات، همست الأرملة في أذن الفتاة، وطلبت منها أن تقنع أباهما بأن يتزوجا؛ لتصبح بمثابة أمها، وتصبح ابنتها أختًا لها. فرحت الفتاة بهذا الاقتراح، وأصبحت في قمة السعادة، وعندما عادت إلى والدها، طرحت عليه فكرة الزواج من الأرملة، لكنه رفض؛ فقد كان يعيش على ذكرى أمها التي أحبها كثيرًا، لكن عويش لم تياس، وظلت تلاحق أباهما

(1) المسلم، عبد العزيز: حكايات من التراث الإماراتي، الناشر: المؤلف. والحميدي، منيرة عبد الله: حكايات شعبية من المنطقة الشرقية، دبي: مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، 2014.

* "بديحة" وردت في كتاب حكايات شعبية من المنطقة الشرقية بعنوان "بنت الشبيك".

بطلبها إلى أن وافق؛ فأصبحت جارتها الأرملة زوجة أبيها، وانتقلت مع ابنتها لتعيشا في منزله. لم تكتمل فرحة عويش؛ إذ بدأت تتغير معاملة الأرملة، وصارت تقسو عليها وتعاملها بجفاء، وتأمرها بإنجاز كل أعمال المنزل وحدها. وفي يوم من الأيام، عاد الأب يحمل ثلاث سمكات، فَسَلَّمَهَا إلى زوجته لِتُعِدَّ وجبة الغداء، فطلبت زوجة الأب من عويش أن تأخذ السمكات الثلاث لتنظفها، فأخذت الفتاة المسكينة السمكات، وسارت نحو البحر، وجلست لتغسل السمكات. وكانت إحدى السمكات من نوع يسمى "بديحة"، فأخذت البديحة تُصدر صوتًا، وتقول للفتاة: اتركيني وسوف أسعدك! اتركيني وسوف أسعدك! اتركيني وسأُغْنِيكِ. فنظرت الفتاة حولها فلم تجد أحدًا! ثم سمعت الصوت نفسه، يقول لها: أنا هنا في الكيس الذي بين يديك!

وعندما فتحت الفتاة الكيس، وجدت سمكة البديحة تتكلم وتطلب منها أن تعيدها إلى البحر لتعود إلى صغارها، ووعدتها بأن تحقق لها أحلامها، فصدقت الفتاة وعود السمكة، وأرجعتها إلى البحر ثم عادت إلى المنزل وهي تحمل سمكتين فقط. ولما علمت زوجة الأب باختفاء إحدى السمكات، عاقبت الفتاة عقابًا شديدًا وحرمتها من الطعام، وقالت لها: لقد كانت تلك السمكة من نصيبك، وقد فرّطت فيها؛ فلن تكون لك وجبة غداء.

بعد ذلك، خرجت الفتاة من المنزل حزينة لما جرى لها، وذهبت إلى الشاطئ ونادت البديحة بصوت عالٍ، قائلة: "بديحة بديحوه! لا عُدُونِي ولا عَشُونِي". فخرجت لها البديحة من البحر وسألتها عن سبب حزنها، فقصّت عليها الفتاة كل ما جرى، فقالت لها البديحة: لا عليك!

ثم طلبت منها أن تغمض عينيها، ففعلت الفتاة، وعندما فتحت عينيها وجدت مائدة من الطعام فيها ما لَدَّ وطاب؛ فأكلت الفتاة حتى شبعت، ثم أصبحت

الفتاة تذهب كل يوم إلى البحر، وتنادي صديقتها البديحة؛ فتقدم لها البديحة طعامًا لذيذًا. وفي يوم من الأيام، أعلن ابن السلطان أنه سيقوم حفلة في قصره، وسوف يختار عروسه في هذه الحفلة، ودعا عامة الناس، فتمنت زوجة الأب أن يختار ابن السلطان ابنتها زوجةً له، ولكنها خشيت من أن يعجب بعويش الجميلة ويتجاهل ابنتها؛ لذا قررت أن تُعدّ مكيدة لتحرم عويش من الذهاب إلى الحفل؛ فتعمدت تُنثر أنواع مختلفة من الحبوب حول المنزل بكميات كبيرة، ثم أمرت عويش بأن تنظف المكان قبل الذهاب إلى الحفلة، وأن تجمع كل نوع من الحبوب في إناء مختلف، فبكت عويش كثيرًا، وذهبت إلى البديحة تشكو لها حظها العاثر، وثيابها الرثة، ومكيدة زوجة أبيها، فقالت لها البديحة: سأحل لك هذه المشكلة، ولكن أغمضي عينيك.

فأغمضت الفتاة عينيها، وعندما فتحتهما وجدت نفسها ترتدي أجمل الثياب، فابتسمت للسמكة، وقالت لها: هذا رائع! ولكن ماذا أفعل بالحبوب المتناثرة على الأرض؟

فأجابت البديحة: لا بأس! سأحل لك هذه المشكلة أيضًا، وسيكون باستطاعتك حضور الحفلة، ولكن بشرط، أن تنصرفي من الحفلة قبل منتصف الليل. وعندما عادت الفتاة إلى المنزل، رأت سرّياً من العصفير يلتقط الحبوب، ويضع كل نوع منها في إناء؛ فذهبت الفتاة إلى الحفلة وهي مطمئنة. وعندما دخلت قاعة الحفلة، أخذت أنظار كل الموجودين تتجه نحوها، وانبهر ابن السلطان بحسنها وجمالها، بينما راحت عينا زوجة أبيها ترمقانه بغيرة وحسد. وبعد فترة زمنية قصيرة، تذكرت الفتاة وعدها للبديحة بأن تنصرف قبل منتصف الليل، وما إن اقترب الموعد حتى غادرت القصر مسرعةً، فخرج وراءها ابن السلطان دون أن يدركها، لكنه سمع الخيل تصهل بقوة قرب غدير، فذهب ليعرف السبب،

فوجد حذاء لامعًا أخاف لمعانه الخيول، فعرف أنه حذاء الفتاة الجميلة، كان قد سقط من قدميها في الغدير أثناء جريها. لم ييأس ابن السلطان، وقرّر البحث عن الفتاة الجميلة صاحبة الحذاء لتكون زوجة له؛ فأرسل خُراسه لزيارة بيوت المدينة بيتًا بيتًا، وأمرهم بأن يطلبوا من كل فتاة أن تحاول ارتداء الحذاء. وقبل أن يصل الحراس إلى منزل عويش، أخفتها زوجة الأب في التنور، وغطته جيدًا كي لا يراه أحد، ثم أتى الحراس وطلبوا منها أن تُخسر بناتها للتحقق من قياس قدمهن، فقالت لهم: ليس لديّ سوى ابنة واحدة. وعندما أحضرت ابنتها لم يكن الحذاء على مقاس قدميها؛ فقرر حراس السلطان الذهاب إلى بيت آخر، ولكن قبل أن يخرجوا صاح ديك قائلاً: كوكو.. كوكو.. عمتي الزينة في التنور، وعمتي الشينة فوق السرير.. كوكو كوكو، عمتي الحلوة في التنور.

استغرب الحراس من سماع الصوت، وتوجّهوا نحو التنور فوجدوا الفتاة الجميلة عويش فيه، فدعوها لارتداء الحذاء، فكان مناسبًا تمامًا لقدميها، فعادوا إلى ابن السلطان وأخبروه باسم الفتاة وعنوانها؛ ففسّر ابن السلطان بالعثور على الفتاة التي أحبها، وقرر إقامة حفل زفافه بعد بضعة أيام. فاستغلت زوجة الأب تلك الفترة لإفشال الزفاف، وعمدت إلى إجبار عويش على أكل البصل والسّمك المملّح، لكن عويش ذهبت في يوم الزفاف إلى البديحة، وقصّت عليها ما حدث، وشكت إليها تصرف زوجة أبيها، فردّت عليها البديحة قائلة: اطلبي من زوجك عندما تُزقّين إليه أن يفرش عباءته، ثم تَقَيّئي عليها.

فقالت الفتاة: كيف ذلك؟

فردّت البديحة: افعلي ما أقوله لك، وسوف تسعدين.

نفذت الفتاة ما طلبته البديحة، فتَقَيّأت ذهبًا وفضةً، وعاشت بسعادة وهناء مع زوجها. وانتشرت القصة بين الناس، وطلب الابن الأصغر للسلطان أن يتزوج أخت

عويش التي هي في الحقيقة ابنة زوجة أبيها.
ففرحت زوجة الأب بالطلب، وأجبرت ابنتها على أكل البصل والسّمك المملح قبل
زفافها؛ لتنال حظًا سعيدًا كحظ عويش، لكن ابنتها تَقَيَّأت ليلة زفافها فَصَلَّتِ
وقاذوراتٍ؛ فطَلَّقها زوجها، وأعادها إلى بيت أمها الشريرة خائبةً.



الحكاية الرابعة: الراعية والنمر ⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

راعية لطيفة ترعى الغنم والماشية، تعرضت في يوم من الأيام إلى عاصفة مطيرة هوجاء، فهربت منها، واختبأت مع أغنامها في كهف كبير، وحينما حل الليل دخل إلى الكهف نمر جريح، فعالجت الراعية اللطيفة جرحه رغم خوفها الشديد منه، فحفظ النمر لها الجميل، وخرج من الكهف دون أن يفتريها أو يفتري ماشيتها؛ ففهمت الراعية من الحادثة أنه لا جزاء للإحسان إلا الإحسان، وعادت إلى بيتها بأمان وامتنان.

(1) الحميدي، حكايات شعبية من المنطقة الشرقية.

الرعاية والنمر:

على أطراف البادية، كانت تعيش راعية، ترعى الغنم والماشية، تقوم مع فجر كلّ صباح، وتسوق أغنامها برضىً وانشراح، إلى المراعي البعيدة، فتقفز الأغنام فوق العشب الأخضر سعيدة، فالعشب الأخضر في منظره بهي، ومذاقه خلّو وطريّ.

ترعى الراعية أغنامها طوال اليوم بلا كلّ، ولا تعب أو ملّ، وتعود مع غروب الشمس إلى القرية بسرعة، قبل أن تخاف الأغنام وتفزّع. ولكن في يوم من الأيام؛ حدث شيء غريب في الجوّ عجيب؛ فقد اختفت الشمس خلف السحب، واسودّت السماء، فأصاب الراعية الرّعْب، وقصّف الرّعد، وتبعه برقٌ لامعٌ. لكن الراعية تشجّعت، ونحو الغابة اتّجهت، وكانت تبحث عن مكان آمن لها، ومأمّن لأغنامها، رغم أنّ الخوف سيطر عليها، ولكنها لم تنسَ ربها، فقد ظلت في كل خطوة تخطوها، تدعو الله بأمل ورجاء أن يحفظها.

وعلى مسافة بعيدة؛ رأت الرّاعية كهفًا كبيرًا في الجبل، فأشرق في قلبها الأمل، وهرعت نحوه مُسرعة، ودخلت مع أغنامها مُندفعة، فاخبتأت في الكهف من المطر، حتّى تذهب السحب ويزول الخطر.

لكن المطر لم يتوقف عن الهطلان، فامتلأت بالماء مجاري السيول، وقطعت عليها الطريق والسبيل، فعلمت أنها ستنام في الكهف المظلم هذا الليل.

فلما حلّ الليل، واشتد السّواد الدّامس، دبّ الخوف في قلب الراعية الواجف، فلا مؤنس يؤنسها، سوى أغنامها الخائفة من مُفترس يفترسها، وينهش لحمها. ولم يكن للرّاعية سلاح تُدافع به عن نفسها، سوى إبرة صغيرة في برقعها الّذي تغطّي به وجهها، وقد اشتد البرد في الكهف، وانكمشت مع أغنامها من شدة البرد والخوف.

ووجدت الراعية جذع شجرة ميتة، فأشعلت فيها النار، وتدفّأت مع خرافها، وأضاءت الكهف بالأنوار، وفي منتصف الليلة دون سابق إنذار، سمعت الراعية صوتًا مربعًا، وكان أنينًا، ولكنه بدا غريبًا، وبدا لها قريبًا: "آوآوآو".

ثم دخل إلى الكهف نمر كبير، وظلّ ساكنًا كالقط الصغير، فخطأ بهدوء نحوها، ووضع قائمته اليمنى على رُكبتها، ولكن الراعية صرخت، وخافت ودفعته نحو النار.

وحين نظرت إليه، وجدته هادئًا ساكنًا، وكان يبدو لها آمنًا، فهناك جرح في قائمته، والألم يلوح من عينيه.

فلما نظرت إلى قائمته وجدتها مُتَوَرِّمة، والجرح يسيل دمًا، فلما اقتربت منه وجدت شوكة قد انغرزت في قدمه، فسارعت الراعية، وحملت قائمة النمر بكفّها الحانية؛ حتى يخف الورم، ويتوقف الدم، ثم أخذت الإبرة من برقعها، ونَقَشَتِ الشوكة من رجل النمر بطرفِها، حتى تخرجَها، وكان النمر يتألم بشدة، فخافت الراعية أن يعضّها.

وبعدما أخرجت الشوكة من رجل النمر، نام مُتَدَفِّئًا بالنار ولم يشعر، بعدما تخلص من الألم المُرّ.

ولكن الراعية خافت من غدره، ولم تنم أبدًا بقربه، وظلّت مُتَيَقِّظَةً طوال الليل تحترس، خائفةً من النمر المفترس، وتراجعت إلى نهاية الكهف بعيدًا عنه، وجعلت الأغنام قريبةً منه، حتى يأكلها ويشبع منها، ولا يقرّبها.

ولكن النمر ظلّ يُراقب الراعية فأخافها، وانكلمشت من الخوف على نفسها، رغم أن نظرات النمر كانت نظرات شكر، لا نظراتٍ تُنذِرُ بخطر. فقد خلّصته الراعية من الآلام، والراعية تظن أنه سينقض عليها إذا قام.

وحين رأى النمر أنّ الراعية خائفة لا تشعر بالأمان، خرج من الكهف، والمطر

يهطل لتحس بالاطمئنان، ولكن الراعية ظلت مستيقظة، وبقيت حتى الصباح متيقظة. ولما أشرقت الشمس، قالت الراعية بهمس: "الحمد لله الذي أبقاني على قيد الحياة، وأنجاني من الممات"، ونذرت أن تُعطي النمر، من قطيعها أحسن تيس وأكبره، تعبيرًا عن شكرها، وامتنانًا من الله على سلامتها.

ثم ربطت الراعية داخل الكهف تيسها، وذهبت إلى منزلها برفقة أغنامها، ولما دخل النمر الكهف؛ فكّ رباط التيس الخائف، وقال له: "انطلق وراء راعيتك، والحقّ بماشيتك"، فلما عاد التيس إلى الراعية فرحت، وبعودته استبشرت، وقالت بامتنان: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان".

ومنذ ذلك اليوم، ظل النمر يحترم المرأة الراعية، ولا يحرك ساكنًا تجاهها، عكس الراعي الرّجل فلم يكن حظّه مثل حظّها السعيد، فكلما شمّ النمر رائحته من بعيد، انقَصَّ عليه ليفترسه.

دجاجة ميثانة

حكاية شعبية من الإمارات العربية المتحدة



الحكاية الخامسة: دجاجة ميثانة⁽¹⁾

⁽¹⁾ المسلم، حكايات شعبية من الإمارات.

ملخص الحكاية:

تحكي عن امرأة تدعو الله أن يستجيب لها، ويحقق أمنياتها في امتلاك دجاجة، ويتكشف الأمر لاحقاً أن هذه الدجاجة أصلها إنسية جميلة، فتزوجها ابن الوالي. الحكاية تُعنى بالكشف عن فضائل الإنسان، ومشاعر المودة التي يجب أن تسود المجتمع.

دجاجة ميثانة

كان يا ما كان في قديم الزمان، في إحدى قرى الإمارات البعيدة امرأة اسمها ميثانة،

لكن ميثانة كانت متأكدة من أن أمنيتها مستحيلة. في يوم من الأيام، وبينما كانت جالسة تفكر في وحدتها هذه، أخذت تحدّث نفسها:

- أعلم أن أمنيتي صعبة، لا... بل هي بعيدة المنال!

هي حقاً مستحيلة! لكن أتمنى أن يرزقني الله، ولو دجاجة صغيرة تؤنس وحدتي، وتملأ هذا الفراغ عليّ.

يا رب! نعم. دَجَاجَة، دَجَاجَة سوف أحبها وأرعاها كأنها ابنتي.

كانت ميثانة ترفع يديها إلى السماء، وهي تدعو الله لتحقيق أمنيتها هذه.

وبعد بضعة أيام، سمعت ميثانة طرْقاً خفيفاً على باب بيتها.

ركضت وفتحته، فوجدت دجاجة صغيرة من أجمل الدجاجات التي رأتها في حياتها الطويلة هذه.

- لقد استجاب الله لدعوتي، ورزقني دجاجة كما أتمنى!

صرخت ميثانة من فرحتها، ثم انحنى وحضنت الدجاجة وكأنها طفلتها الصغيرة.

- أهلا يا دجاجتي الحلوة، أهلا يا ونيستي الحبيبة، أنا أمك، وسوف أعني بك وأدلك كما تفعل الأمهات بناتها!

في الأيام والشهور كانت الدجاجة هادئة، تأكل، وتلعب وتنام، ولم تكن تبدي أي نوع من الإزعاج لميثانة.

حتى كبرت، وبدأت تتصرف بطيش، وتشاغب وتُحدث ضجيجًا تمامًا مثل باقي الأطفال.

وذلك لم يُرَضِ ميثانة أبدًا.

ففي يوم صرخت بها بقسوة تُوبّخها: كم أنت مزعجة! أنتِ تتصرفين كالأطفال عديمي التربية!

"تصرخين بي أنا؟! هكذا قال الصوت.

استغربت ميثانة من الصوت، ولكنها لم تَشْكُ للحظة واحدة بأن مصدره هو دجاجتها؛ فالصوت أتى عميقًا كأنه من مكان بعيد، فخمنت ميثانة:

- من المؤكد أن الصوت الذي سمعته آتٍ من بيت الجيران.

وبعد فترة من تلك الحادثة، لاحظت ميثانة أنها كلما خرجت من البيت وعادت، وجدته نظيفًا مرتبًا.

- كيف ذلك؟ هذا عجيب! من الذي قام بأعمال البيت؟ إنه مرتب ونظيف!

يبدو أنني من رتبته قبل خروجي. نعم، أنا رتبته، ونظفته، لكنني نسيت.

لقد كبرت في السن، وبدأت أنسى.

ولم تعطِ ميثانة الأمر أهمية أكثر من ذلك.

وفي يوم من الأيام، جاء ولد من أبناء الجيران وطرق باب بيت ميثانة.

فردّت الدجاجة على الفور:

- ميثانة، ميثانة. هناك ولد عند الباب يريدُ الصحون والأكواب.

فزعتُ ميثانة كثيرًا عند سماع الكلام.

- من قال ذلك؟

- أنا يا ميثانة. أنا من وبَّختها بقسوة عندما أرادت أن تلعب وتمرح مثل باقي الأطفال!

فتحت ميثانة الباب، وأعطت الولد الصحون والأكواب بسرعة، ثم أقفلته، وصارت تفكر في ذلك الصوت.

تذكرت أنها سمعته من قبل.

وتذكرت أيضاً أن أهل القرية يقولون لها من وقت إلى آخر: إنهم عندما يدقون بيتها في غيابها، يردُّ عليهم صوت فتاة، كانت ميثانة دائماً ترفض هذا الكلام وترد عليهم:

- كلكم تتوهمون. فلا يوجد في بيتي أحدا!

ذات صباح أفاق ميثانة بسبب طرق قوي على باب بيتها، أسرعت لتفتح ففوجئت بالزوار.

كان هناك الوالي، وكل أبنائه، وحاشيته، وخدمه.

- مرحباً مرحباً بالوالي القدير! ما هذه الزيارة الجميلة!

قالت بصوت يرتجف من المفاجأة.

قال الوالي: لقد جئنا نخطب ابنتك الدجاجة لابننا الصغير.

ردت ميثانة والدهشة ظاهرة على وجهها: ماذا؟ سأفقد وعيي يا سيدي الوالي!

أنت تطلب زواج ابنك من دجاجة؟ كيف ذلك؟ هذا غير ممكن!

قال الوالي: وهل ترفضين طلبنا يا ميثانة؟

- معاذ الله يا والينا! لكن من الأفضل أن تبحثوا عمن تليق بابنكم، وتجلب له السعادة.

فأجاب الوالي: لكنَّ ابننا يصرُّ على الزواج من دجاجة ميثانة.

قالت ميثانة، وهي تحضر الدجاجة للوالي:

فماذا نفعل، ونحن لم نرفض له طلبًا من قبل؟

وقبل انتهاء النهار، كانت زينة الأفراح قد نُصِبَتْ في كل أنحاء القرية، وأعلن الوالي عن ابتداء الاحتفالات في اليوم التالي، ودامت احتفالات الزفاف سبعة أيام وسبع ليالٍ.

زُفَّت الدجاجة في الليلة الأخيرة، في قفص كبير مزين بأجمل الأحجار الكريمة الملونة إلى قصر ابن الوالي.

كان من عادة الوالي أن يجتمع بأبنائه بعد صلاة الفجر، وفي يوم من الأيام قرر الابن الصغير أُلّا ينضم إلى مجلس أبيه، فعاد إلى قصره مباشرة بعد الصلاة. وعند وصوله، فوجئ بفتاة فاتنة الجمال تسبح في حوض القصر، فاختبأ كي لا تراه، ثم أخذ يمشي على رؤوس أصابعه إلى أن وصل إلى طرف الحوض، فوجد ريش دجاجة.

عرف مباشرة أنه ريش زوجته الدجاجة، فأخذه وتسَلَّلَ به إلى خارج القصر، وتخلَّص منه برميهِ بعيدًا، ثم أرسل مساعده إلى بيت ميثانة، يطلب منها المجيء إلى القصر بأقصى سرعة ممكنة، ثم ذهب إلى إخوته وأبيه وأمه، ودعاهم جميعًا للإسراع بالمجيء إلى قصره.

وعندما وصل الجميع، طلب منهم أن يتجهوا إلى حوض السباحة. فوجئت بهم الفتاة الجميلة التي تسبح في الحوض، فأخذت تبحث عن ريشها الذي يعيدها إلى شكل دجاجة، ولكنها لم تجده، فلم تستطع أن تخفي نفسها. وهكذا أخبرتهم أنها هي الدجاجة، وأن الله جعل لها ذلك الذي ليتمحن أمها ميثانة. فرح الجميع بهذا الخبر، وأول من ركض ليحتضنها هي أمها ميثانة.

أما زوجها ابن الوالي الصغير، فالفرحة لم تسعه. أمسك بيد زوجته الفتاة، ودخلا معًا القصر، بعد أن وعد الجميع بأجمل حفل للاحتفال بالفتاة الجميلة.

وهكذا عاش العروسان عيشة هنيئة، وأنجبا العديد من البنات والبنين.

أحمد راشد ثاني

إِلَّا جَمْلٌ حَمْدَانُ
فِي الظِّلِّ بَارِكُ

24 دكاية من الإمارات

السرد الشفاهي في الإمارات



3

الحكاية السادسة: "دينوه وأرباب" ⁽¹⁾

⁽¹⁾ أحمد راشد ثاني، حصة الصبر، ص425-428، ورواية للراوية علياء محمد.

يُحكى أنه في سالف العصر والأوان، وفي زمن غير هذا الزمان، ارتحل قوم عن ديارهم في أيام الصيف إلى المقيظ، وتركوا خلفهم عنزة أليفة كانت على وشك الوضع.

فولدت العنزة جَدَيْنِ صغيرين أسَمَتْهُما دِينُوهُ وأرباب
وكانت العنزة كلما أرادت الخروج للرعي توصي صغيريها بألا يفتحا باب الحظيرة
لأي طارق إلا بعد التأكد من هويته، فتقول لهما محدّرة: إياكم وفتح باب الحظيرة.
ومع إشراقة كل صباح، تخرج العنزة لتجمع الحشائش لصغارها، وتعود مع
الغروب فرحةً، وهي تحمل لصغارها بعض الحشيش على قرنيها، والحليب في
ضرعها، وحين تصل باب البيت تنادي على الجدّيين قائلة:
دينوه دينوه يا أرباب.

بَطَّلَ لأَمك الباب (1) .

قريناته من حشيش (2) .

وبطيناته من حليب (3) .

فيعرفها الصغيران من صوتها، ويفتحان لها باب الحظيرة ويرضعان، ويأكلان ما
أحضرتهم من الحشيش، ويرقدان إلى جانبها بهدوء، واطمئنان، وسلام.

وكان في المنطقة سبعة من الوحوش ، وكان أحدهم يراقب تحركات الأم عند
خروجها.

وذات يوم اغتنم فرصة ذهابها للرعي، فاقترب من باب الحظيرة إلى الجدّيين
مقلداً صوتها، إلا أنهما اكتشفا أمره، ولم يفتحا له الباب، فارتدّ خائباً.

(1) بَطَّلَ: افتح.

(2) قريناته: قريني تحملان الحشائش.

(3) بطيناته: ضرعيّ ممثّلان بالحليب.

لكن الوحش لم يفقد الأمل، فقد انتظر بالقرب من المكان حتى عادت، وسمعها تنادي صغيرَيها، فعاد في اليوم الثاني، وقرع الباب، ثم هتف مقلِّدًا صوت الأم. فانخدع الصغيران، وفتحا له الباب، فانقض عليهما بقوة وبسرعة البرق، وابتلعهما فرحًا، وأكل منهما حتى شعر بالشبع. عادت العنزة الأم كعادتها عند الغروب ونادت على الوليدَين، ولكنها لم تتلقَ جوابًا على نداءها.

فاندفعت بقوة إلى الحظيرة، وضِعَّت لاختفاء دينوه وأرياب، وأدركت أن أحد الوحوش قد أصابهما بمكره. وبسرعة انطلقت الأم إلى حيث يقيم الوحوش، وكانوا يتهيؤون للعشاء وقد وضع كل واحد منهم قِدره على النار، فاقتربت من الأول وقالت له: منه ماكل عيلاتي؟ فبادرها قائلاً:

يا من جيت آضوي ضوياتي.

وأنا بعشي صغيراتي.

فردت عليه قائلة:

أنا الحدادية من هو ماكلُ عيلاتي؟

فأقسم الوحش الأول لها أنه لم يمس ولديها بسوء.

ثم ذهبت العنزة الأم للوحش الثاني، فالثالث، فالرابع، فالخامس، فالسادس.

وفعلت معهم جميعًا الشيء نفسه، فأكدوا لها براءتهم.

وأخيرًا، وصلت إلى الوحش السابع، وهو كبير الوحوش، فقلبت قِدره أمامه، فقال:

من جيت آضوي ضوياتي، وأنا بعشي صغيراتي.

فردت عليه قائلة:

أنا الحدادية، من هو ماكِلُ عيلاتي؟

فلم ينكر الوحش الكبير فعلته، واعترف بأنه هو الذي ابتلع ولديها.

بل إنه أخذ يُمَيِّي نفسه بوجبة دسمة، عندما يلتهم الأم نفسها بعد قليل.

غير أن العنزة الأم استجمعت شجاعته، وهجمت على كبير الوحوش ، وبقرت

بطنه بقرنيها، وأخرجت ولديها، وهما لا يزالان على قيد الحياة، وعادت بهما إلى

الحظيرة.

وفي تلك الليلة، سهرت العنزة على ولديها، إلى أن أَمَتَّتهما من الخوف الذي حل

بهما، وأطعمتهما من الجوع الذي كاد أن يهلكهما، وسقتهما من عطش، وأغفى

دينوه وأرباب، وصوت الأم يتردد في أذنيهما بصوت حنون:

حَذَارِ أَنْ تَفْتَحَا بَابَكُمَا لِكُلِّ طَارِقٍ أَوْ مُنَادٍ، بَلْ انْظُرَا حَتَّى تَتَبَيَّنَا، فَلَيْسَ مِنْ رَأْيِ

كَمَنْ سَمِعَ.

الحكاية السابعة: حكاية الهَبَّان⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

الهَبَّان: آلة موسيقية تعزف فيها الألحان؟ أم شاب وسيم من نسل الإنسان؟ أم هدية الخالق لامرأة طيبة حُرِّمت سنين من البنات والبنين، بعد دعوة صادقة من قلب لهفان؟

في هذه الحكاية يظهر الجمال المستور، ويستحيل الحزن والنفور، إلى سعادة وفرح وسرور في أبعد مكان.

كان يا مكان في قديم الزمان؛ عاشت امرأة طيبة بلا بنات أو بنين، رغم أنها متزوجة منذ سنين. وفي ليلة ساكنة، رفعت المرأة كفيها نحو السماء الداكنة، ودعت الله برجاء، وقالت في بكاء: "يا الله يا رحمن، ارزقني ولدًا ولو كان أشبه بالهبان"؛ وذلك لأنها تريد ولدًا منذ قديم الزمان، حتى لو كان هذا الولد مثل آلة تعزف فيها الألحان. مرت الأيام والسنون، واستجاب الله دعوة المرأة الطيبة الحنون، فزرعها بهبان كما تمنَّتْ، ولكنها لم تفرح به كما ظنت؛ فمن سيفرح إن كان ابنه آلة موسيقى؟ وماذا لو أدرك الناس الحقيقة؟ عانت المرأة الطيبة من الأحزان، فأخفَّت ابنها الهبان، وخبأته كي لا يراه أبناء الحي، ولا يسمع عنه أحد حي. واستمر الحال على هذا المنوال، والمرأة راضية بقدرها، وما آل إليه المآل؛ فخبأت ابنها في الخباء، طوال فصل الشتاء. وحين أقبل فصل الصيف الحار، جمع الناس للمقيظ رحيلهم، وأرادت الأم أن ترافقهم، ولكن ماذا لو وقعت على ابنها الهبان أعينهم؟ لا بُدَّ من حل. فكرت الأم، ثم قالت بعدما نسيت الهم: "سأرحل معهم إلى أرض المقيظ بعيدًا، وأترك ابني الهبان في القرية وحيدًا" وذلك حتى

(1) خرييفة مجيريفة: قصص مستوحاة من التراث، معهد الشارقة للتراث، والهبان، الظبي للنشر والتوزيع.

لا ينظر الناس إليه، وكي لا يتعرفوا عليه. نظّفت الأم ركنًا من أركان البيت، وتركت الهبان فيه مع قربة ماء وطعام وزيت، ثم رحلت عن بيتها الشتوي العتيق، ودعت الله بصوت رقيق أن يحمي الهبان من شرور الزمان. بقي الهبان وحده في البيت محتارًا، بعدما تركته أمه ورحلت عنه نهاريًا. ولكنه لم يكن في القرية وحده، فقد بقي بعض الناس بقربه، مثل كبار السن الآمنين، وبعض الفقراء المساكين. وفي المقيظ، استمتع الناس في الواحات بالهواء العليل، وتغريد القُمري الرنان الجميل، وكانوا يقطفون من الأشجار الفواكه والثمار، ويخرجون للنزهة بالنهار، وقد فرحوا وسعدوا، حتى آن أوان العودة فاستعدوا، وعادت الأم معهم إلى القرية، فسمعت من كبار السن والفقراء أنهم شاهدوا شابًا وسيما فتيا وقويا، يخرج كل يوم من مكان مجهول، فيصلي في المسجد الكبير المعزول. وفي يوم سعيد، وبينما الأم تنظف ركن ابنها الوحيد، سمعته يقول بعدما وضعت مكانه، وكان الصوت الذي يتكلم به رنًا: "الهبان يبغي يُعرّس.. الهبان يبغي يعرس".

فالتفتت إلى ابنها الهبان، وقالت: هل أنت من يتكلم الآن؟

قال: "نعم".

فابتسمت الأم ثم قالت: "إذن سأزوجك، إن كانت هذه رغبتك".

ثم خرجت الأم إلى القرية، وطرقت الباب تلو الآخر بروية، فلم يقبل أحد بالهبان زوجًا لابنته، وفي آخر المطاف اتجهت الأم إلى بيت صياد فقير لا يملك المال، وكانت له أربع بنات آية في الجمال. فلما خطبت أم الهبان كبرى البنات لابنها، قيل بسرور خطبته، ولكنه اشترط أن يستشير ابنته، فرفضت. ثم عرضه على أختها الوسطى فأبت، والتي بعدها فلم تقبل، حتى وافقت أصغرهن بجذل، وزُفّت إليه في بيت جديد، وأقام الأهل الزفاف السعيد، ومكث العروسان هائيين. وفي يوم من الأيام الحارة، استيقظت الفتاة من نومها مسرورة، فرأت زوجها في

أجمل صورة، بعدما نزع عنه رداء الجلد الذي كان جماله تحته مستورًا، فاخْتَبَأَت الفتاة حتى خرج زوجها لصلاة الفجر، فقامت وأحرقت الجلد بالجمر. ولما عاد إلى البيت وجدها في انتظاره، فأخبرته في الحال بما فعلت، ففرح بما صنعت، وبَقِيَ منذ ذلك اليوم على هيئته، وعلم الناس أن الشاب الوسيم الذي كانوا يشاهدونه في بعض الأحيان، كان نفسه الهبان. وعاش الهبان مع زوجته في سعادة وسرور، وفرح وحبور.

كان يا ما كان، في قديم الزمان، امرأة لم تنجب أطفالاً، فذهبت إلى رجل صالح وشكت له الأمر، فقال لها اعجني سبع خبزات وضّعيهنّ في السرير وحزّكيهنّ لمدة سبعة أيام متتالية. وفعلت المرأة ذلك، وفي اليوم الخامس جاءها رجل فقير يطلب طعاماً، فقالت له: انتظر سأُعِدّ لك الطعام، وطال انتظاره، فشم رائحة خبز شهّي، فدخل المنزل فوجد الخبزات على السرير، فأخذ واحدة، وبدأ يأكل منها، فخرج من الخبزة دم كثير، فخاف الرجل، ورمى الخبزة على السرير، وهرب. وعندما عادت المرأة بالطعام لم تجد الرجل، ووجدت الخبزة مقسومة إلى نصفين، فرمت بنصف، ووضعت النصف الآخر مع الخبزات على السرير. وبعد مرور الأيام السبعة، تحولت الخبزات إلى أولاد، إلا خبزة منهم وجدتها قد تحولت إلى طفل مشوّه بنصف رأس، فأطلقت عليه اسم أنتيف أنتيفان. ومرت الأعوام وكبر الأطفال، وذهبوا لرعي الغنم، وكانوا يركبون الخيل إلا أنتيف أنتيفان كان يركب الحمار، رغم طبيته وأخلاقه الحميدة. وفي يوم ما طلب الأبناء من أمهم أن يذهبوا إلى جدّتهم فرفضت؛ لأن الطريق صعب وهي تخشى عليهم، ولكنهم ألحّوا فوافقت. وسار الأبناء في طريقهم، فوجدوا بحراً يصعب اجتيازه، فقام أنتيف أنتيفان بشرب البحر، وهكذا اجتاز الأبناء البحر. وبعد فترة من السير طلب الجميع من أنتيف أن يعود لأنه بطيء السير بحماره، فبكى بكاءً شديداً، ولكنهم لم يهتموا به وتركوه وساروا في طريقهم. وبعد فترة من السير وجدوا ناراً هائلة واحترقوا في إطفائها، فعادوا إلى أخيه أنتيف، فسار معهم إلى النار، وأخرج ما في بطنه من ماء البحر، وألقى به على النار فأطفأها. وسار الجميع في طريقهم، حتى تقابلوا مع امرأة ساحرة، دعتهم إلى الراحة والطعام من

(1) خرييفة مجيريفة: حكايات مستوحاة من التراث، معهد الشارقة للتراث.

عناء السير، فوافقوا دون أن يعلموا بسحرها وشرها. وبدؤوا في النوم حتى يُعَدَّ الطعام، إلا أنتيف كان متيقظًا، فرأى المرأة تسن أسنانها لأكلهم، فأيقظ إخوانه وهربوا من نافذة المنزل جريًا، والساحرة تجري خلفهم، فصرخوا، فتجمّع أهل القرية وعرفوا القصة، وبدؤوا في إلقاء الحجارة على الساحرة حتى ماتت، وواصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى جدّتهم، وأصبح أنتيف أنتيفان أخًا محبوبًا، وتقلّد رئاسة القرية.

الحكاية التاسعة: الثعلب والديك⁽¹⁾

قال الثعلب للديك: أتوسل إليك يا صديقي، إنني أشعر بألم شديد، وأريد أن تعالجني لأنك ذكي وحكيم، فادخل معي إلى الغار ولا تخف. شعر الديك بالخوف، لكنه قرر بالفعل استعمال ذكائه للتخلص من الثعلب، فقال للثعلب: سوف أنزل إلى هذا الطوي (بئر الماء) لأجلب لك الدواء، وأريد منك أن تحرسني حتى أعود. وجد الثعلب في عرض الديك فرصة مناسبة للانقضاض عليه والظفر بلحمه الطري، فعندما نزل الديك إلى البئر، نزل الثعلب وراءه، وفجأة بدأ بالهجوم عليه، لكن الديك كان أكثر ذكاءً منه، فما إن رآه يحاول الانقضاض عليه بأسنانه الحادة حتى حرك جناحيه وطار خارج البئر، فسقط الثعلب، وبدأ يستنجد بالديك ليُخرجه، لكن الديك تركه يلاقي مصيره قائلاً له: "هذا جزاء من يغدر بصديقه".

⁽¹⁾ حكايات الماء في التراث الإماراتي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2011.

الحكاية العاشرة: "أَخَافُ حَصَاتِهِ فِي ثِيَابِهِ" ⁽¹⁾

جاء في المثل الشعبي على لسان غراب صغير: "أَخَافُ حَصَاتِهِ فِي ثِيَابِهِ"؛ أي أخشى أن تكون حجارته الصغيرة في جِجْرِهِ. فما قصة هذا المثل؟ وهل كان الغراب الصغير مُجِئًا في أخذ الحيلة وتَوَخَّى الحذر.

يُحْكَى أن غرابًا مسنًا كان يعيش في أحضان الطبيعة مع صغيره النعّاب، على شجرة عالية كثيرة الأغصان والفروع، يتنقلان معًا بين المراعي والصحاري والجبال طلبًا للرزق، بعيدًا عن مدن البشر وقراهم. وفي يوم من الأيام، نظر الغراب المسن إلى الأفق، فترأت له الشمس وهي تودع السماء وقت الغروب، فشعر بدنوَّ أجله؛ فأراد أن ينصح صغيره، ويوصيه وصية من الشر تحميه، ومن الخطر تُنجيه، فأشار بجناحه إلى صغيره، فاقترب النعاب بمنقاره الصغير وجسمه الممتلئ من أبيه، فقال الغراب الأب بحب وحنان: يا بني! احذر ابن آدم؛ لأنه ظالم وغدار، يحب الإثم والعدوان. فإذا رأيت إنسانًا ينحني إلى الأرض، فحلّق في الجو عاليًا بأسرع ما تقدر عليه، ولا تلتفت يمينًا أو يسارًا.

فاستغرب الغراب الابن، وسأل والده بفضول: لماذا يا والدي؟ فرَدَّ الغراب الأب بصوت واثق: أخشى أن يلتقط حجارة من الأرض، فيرميك بها، ويؤذيك. فقفز الغراب الصغير إلى غصن عالٍ قائلاً: بل أُحلّق عاليًا في الجو حالما أرى إنسانًا، ولو كان واقعًا غير مُنَحَنٍ.

فتعجب الغراب الأب، وسأل صغيره باهتمام: لماذا تفعل ذلك؟ ف صاح الغراب الابن: "أخاف حصاته في ثيابه".

وعندما سمع الغراب الأب هذه الإجابة من ابنه، لمعت عيناه فرحًا، واطمأن إلى أن ابنه فطنٌ شديد الحذر؛ فقال بارتياح: اذهب يا بني! فلا خوف عليك. وهكذا ذهب قول الغراب الصغير "أخاف حصاته في ثيابه" مثلًا شهيرًا تتناقله الألسن عبر الأجيال، فيُضْرَبُ للتعبير عن ضرورة أخذ الحيلة وتَوَخَّى الحذر.

(1) حكايات الأمثال الشعبية، ج1، الطيبي للنشر والتوزيع، 2021.

الحكاية الحادية عشرة: الثعلب والخمَام⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

ثعلب شرير يتربص بحمامتين، ويجبرهما على إعطائه كل فراخهما بالمكر والخديعة، ويستمر في ذلك إلى أن يأتي طائر الخصيفي، فيحدّر الحمامتين، ويُبطل مكر الثعلب ويكشف خداعه؛ فيغضب الثعلب من طائر الخصيفي، ويفترسه انتقامًا على تدخله في أمر لا يعنيه.

حطّت حمامة وزوجها في أعلى شجرة نخيل، وأخذا يبنيان عشًا؛ ليكون سكنًا مناسبًا لهما ولفراخهما. وقد كانا يعيشان في سعادة وهناء إلى أن رآهما يومًا ثعلب مكار. وحينها حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد كان يأتي الثعلب المكار إلى الحمامتين في كل مرة تفقس فيها بيوضهما، ويهددهما قائلاً: إما أن تعطيانني فراخكما الصغيرة، أو أصعد إلى أعلى الشجرة وأكلكما معها. فكانت الحمامتان تخافان من الثعلب المكار، وترميان إليه الفراخ الصغيرة، فيأخذها ويمشي. واستمر الأمر على هذه الحال فترة من الزمن، وكلما رزقتا بفراخ احتال عليهما الثعلب، وأكلها كلها. وفي يوم من الأيام، مرّ بهما طائر الخصيفي وسألهما عن حالهما، فشرحتا له بحزن مأساتهما بسبب الثعلب الشرير، فقال لهما طائر الخصيفي متعجبًا: ولماذا ترميان إليه الفراخ؟

فقالت الحمامة: إنه يُهدّدنا، ويتوعّدنا، فإن لم نرمِ إليه الفراخ؛ فسيصعد إلى أعلى الشجرة ويأكلنا مع الفراخ.

فضحك طائر الخصيفي، وقال: كيف استطاع الثعلب أن يخدعكما، ويأكل صغاركما، مع أنه لا يستطيع أن يتسلق الأشجار؟

ثم أضاف: إذا أتى إليكما مرة أخرى فقولاً له: اصعد، وخُذِ الفراخ بنفسك إن كنت

(1) أحمد راشد ثاني، حصة الصبر.

تستطيع.

فرحت الحمامتان بهذه المعلومة، وشكرتا طائر الخصيفي. وبعد يومين جاء الثعلب، ووقف في أسفل شجرة النخيل، ونادى الحمامتين، وطلب منهما الفراخ الصغيرة، وهدد بصعود الشجرة إن رفضتا طلبه. فقالت له الحمامتان: إذا استطعت فاصعد أعلى الشجرة، واتهمنا جميعاً. فكرر الثعلب طلبه مندهشاً: يا أيتها الحمامة، ارمي إليّ فراخك وإلا صعدت بنفسي. فقالت له بثقة: اصعد إليّ إن كنت قادراً على ذلك. فاستغرب من سلوكهما، وسألهما عن سبب رفضهما هذه المرة، فقالتا له: عرفنا أنك لا تستطيع تسلق الأشجار.

فسكت الثعلب، وعلم أن خطته لن تنجح، وقال للحمامتين: من علمكما هذا الكلام؟

فقالتا: علمنا هذا الكلام صديقنا طائر الخصيفي.

وعندما سمع الثعلب ذلك، أخذ يجري مسرعاً إلى طائر الخصيفي، فوجده يستحم في النهر، فاقترب منه، وسأله: لو جاء إليك الهواء من الشمال ماذا تفعل؟ فقال طائر الخصيفي: سوف أضع جناحي هكذا؛ أي في جهة الشمال. فرد الثعلب: وعندما يأتي إليك من اليمين.

فقال له: سوف أضع جناحي هكذا؛ أي في جهة اليمين.

وبسرعة انقض عليه الثعلب، وأكله على حين غرة انتقاماً منه على تحذير الحمامتين وتدخله في أمر لا يعنيه.

الحكاية الثانية عشرة : حكاية عوشانة والذئب⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

تذهب عوشانة الصغيرة في رحلة لجمع الثمار كي تُطعم إخوتها الصغار؛ فتواجه ذئبًا مكرًا مفترسًا.

كان في قديم الزمان، في الصحراء العربية حيث المراعي والكثبان، فتاة صغيرة اسمها عوشانة، تعيش مع أمها وإخوتها العشرة في خيمة صغيرة. كان أهلها فقراء، لا يملكون سوى ثلاث نعجات، ولا يرتدون سوى ثياب بسيطة مصنوعة من صوف النعاج. ومع ذلك، فقد كانوا سعداء؛ فقد تربوا في الطبيعة، على القناعة والأخلاق الحميدة. وفي كل صباح، كانت عوشانة الصغيرة تخرج للعمل؛ لتحضر لإخوتها ما يَسِدُّ جوعهم من ثمار أو تمور. وفي أحد الأيام الصيفية، صادفت عوشانة أربعًا من رفيقاتها في الطريق، فقلن لها: عوشانة عوشانة! هل تشاركيننا في رحلة جمع ثمار شجر السدر.

ففرحت عوشانة، وهتفت بصوت ناعم وعيون تفيض أملًا: نعم نعم؛ فأنا أحب ثمار النبق التي تحملها شجرة السدر.

أخذت الرفيقات يحدّقن بعوشانة وهي تسير أمامهن، فهمست إحداهن: انظرن إلى عوشانة، إنها تلبس ثوبًا من الصوف، ورائحة النعاج الكريهة تفوح من ثوبها. فَرَدَّت رفيقة أخرى بصوت خافت: تبقى بنتًا من بنات قبيلتنا؛ لا بأس إن رافقتنا.

سارت الفتيات في المراعي يبحثن عن شجرة السدر؛ حتى لاحت لهن شجرة سدر صغيرة، فهتفن لها بصوت واحد: يا شجرة السدر! هل فيك نَبْق؟ فردت شجرة السدر: أنا ما زلت صغيرة، ستجدن النبق عند أخواتي هناك.

(1) حكاية عوشانة والذئب، الطيبي للنشر والتوزيع، 2021.

واصلت الفتيات المسير والبحث عن شجرة مثمرة، فاقتربن من شجرة سدر
متوسطة الحجم، وكررن نفس السؤال: يا شجرة السدر! هل فيك نبق؟
فردت الشجرة: لا، ستجدن النبق عند أختي الكبرى التي تسمى سدره الخير.
أكملت الفتيات المسير وقد طال الدرب؛ فهتفت إحداهن: لقد ابتعدنا عن المكان،
وأخشى أن يهاجمنا ذئب جائع.
فردت عوشانة بصوت واثق: ما زلنا في النهار، والذئب لا يحب الأنوار. فهيا نكمل
المسير؛ فإخوتي يترقبون عودتي مع ثمار لذيذة.
وما هي إلا لحظات حتى لاحت لهن شجرة السدر الكبرى، فقفزن فرحًا، وهتفن:
يا شجرة السدر! هل لديك نبق؟
فتبسمت سدره الخير، وقالت: نعم لديّ الخير الوفير، ولكن لا بد أن تصعد
إحداكن إلى الأعلى، وتهزّ الغصن؛ لتتساقط ثماري الكروية اللذيذة.
فتبادلت الفتيات النظرات، ثم وجّهن نظرهن إلى عباءة عوشانة، وقلن: نخشى أن
تتمزق عباءتنا المصنوعة من الحرير. ما رأيك يا عوشانة أن تصعدي؛ فعباءتك
سميكة وغليلة ومصنوعة من الصوف؟ وكررن الطلب: ما رأيك أن تصعدي يا
عوشانة؟
ردت عوشانة بثقة: نعم، أستطيع الصعود، ولكن لا تنسَيْن أن تجمعن لي بعضًا
من الثمار.
وبسرعة البرق تسلقت عوشانة إلى أعلى شجرة السدر، وأخذت تهزّ الأغصان؛
فتناثرت حبات النبق الصغيرة والكبيرة، وأخذت الرفيقات يجمعن أجودها،
ويملأن سلالهنّ متناسيات سلة عوشانة المسكينة.
فصاحت عوشانة بصوت رنان: لا تنسَيْن سلتي!
فابتسمت البنات ابتسامة مأكرة، واتفقن على خداع عوشانة والسخرية منها؛

فسارعن إلى وضع الرمال والحصى في سلتها، ونثرن بعض حبات النبق في أعلى السلة. مالت الشمس إلى الغروب، ودَوَّى صوت عواء الذئب من بعيد، فهتفت إحداهن: هيا نسرع بالعودة! هيا يا عوشانة انزلي! نزلت عوشانة من أعلى الشجرة، وحملت سلتها الثقيلة، وانضمت إلى البنات، وبينما هُنَّ يتراكن تعثرت عوشانة؛ فسقطت، وسقطت من يدها سلتها، فتبعثر ما بداخلها. فاندَهشت عوشانة حينما علمت أن سلتها كانت مليئة بالرمال والحصى، ووقفت مذهولة، بينما انفجرت رفيقاتها بالضحك. فهتفت عوشانة عابسة: لماذا فعلتَن ذلك؟ لا بد أن أعود إلى الشجرة، وأجمع ثمار النبق لإخوتي.

فتعالى صياح رفيقاتها، وهتفن: لا لا، لا يمكن الرجوع؛ سيأكلنا الذئب. فرجعت عوشانة وحيدة إلى سدرة الخير، وصعدت إلى الأعلى، وأخذت تهز الأغصان لتتساقط حبات النبق، وأخذت تحدّث نفسها: الحمد لله، سأجمع ثمار النبق اللذيذة ليشبع منها إخوتي. وفجأة اقترب الذئب من الشجرة، وعلا صوته بالعواء: انزلي أيتها الفتاة، فأنا جائع جدًا.

شعرت عوشانة بالخوف، وأخذت تفكر كيف لها أن تنجو من الذئب، فقالت: وجدتها! إذا شبع الذئب فلن يأكلني. فأخذت عوشانة تهز الأغصان بقوة، لتتساقط حبات النبق، وأخذ الذئب يلتقط الثمار بفمه الكبير، ويلتهمها بنهم. فصاحت عوشانة: يا عمي الذئب! هل شبعْتَ واكتفيت؟

فصاح الذئب بمكر وهو يهز ذيله: شبعْتُ، واكتفيتُ؛ انزلي وعليكِ الأمان. وما إن أخذت عوشانة تجمع ما تبقى من الثمار وتهمُّ بالمغادرة قبل حلول الظلام

حتى عوى الذئب بصوت عال: أشعر بالبرد؛ اجمعي لي الحطب.
وأخذ يحفر حفرة، ويضع فيها الحطب، ثم أشعل نارًا. فشعلت عوشانة بالخوف،
ولمحت في نظرات الذئب الطمع والجشع، فأيقنت أنه ينوي أكلها؛ فأخذت تفكر
وتفكر حتى اهتدت إلى حيلة ذكية. تظاهرت بجمع الحطب، وخبأت تحت عباءتها
غصنًا ذا أشواك، واقتربت من الذئب، فعوى الذئب مظهرًا أنيابه الحادة: سأطبخ
لحمك، وأشويك، وأجعل منك وجبة عشاء هنيئة.

فأخرجت عوشانة الغصن المليء بالأشواك بسرعة، وضربت به الذئب، فأخذ
يتلوى من الألم، وحينها دفعته عوشانة بقوة، فسقط في أعماق الحفرة، وهلك.
فنظرت إليها سدرة الخير، وقالت: أحسنتِ صنعًا يا عوشانة الشجاعة! لقد
خلّصتِ الصحراء من الذئب الشرير؛ سأقدم لك مكافأة قيّمة على شجاعتك،
احفري يمينًا بالقرب مني، وستجدين صندوقًا من الذهب الخالص.

أخذت عوشانة تحفر قرب الشجرة، فعثرت على صندوق الذهب، فضمته بين
ذراعيها، وشكرت سدرة الخير على هديتها الرائعة، وعادت إلى خيمتها بسرعة
وهي تطير فرحًا. وعندما وصلت، أخذت تقص على أسرتها ما حدث لها، ففرحوا
بعودتها سالمة غانمة، ثم اشتروا بالذهب أرضًا خصبة، وزرعوها بالأشجار المثمرة،
ثم وزعوا جُل ثمارها على الفقراء والمحتاجين، وعاشوا في سعادة وهناء.



الحكاية الثانية عشرة: حكاية عُوشَانَةُ والذُّبُّ⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

تذهب عُوشَانَةُ الصغيرة في رحلة لجمع الثمار كي تُطعم إخوتها الصغار؛ فتواجه ذئبًا مكرًّا مفترسًا.

كان في قديم الزمان، في الصحراء العربية حيث المراعي والكثبان، فتاة صغيرة اسمها عُوشَانَةُ، تعيش مع أمها وإخوتها العشرة في خيمة صغيرة. كان أهلها فقراء، لا يملكون سوى ثلاث نعجات، ولا يرتدون سوى ثياب بسيطة مصنوعة من صوف النعاج. ومع ذلك، فقد كانوا سعداء؛ فقد تربوا في الطبيعة، على القناعة والأخلاق الحميدة. وفي كل صباح، كانت عُوشَانَةُ الصغيرة تخرج للعمل؛ لتحضر لإخوتها ما يَسِدُّ جوعهم من ثمار أو تمور. وفي أحد الأيام الصيفية، صادفت

(1) حكاية عُوشَانَةُ والذُّبُّ، الطبي للنشر والتوزيع، 2021.

عوشانة أربعاً من رفيقاتها في الطريق، فقلن لها: عوشانة عوشانة! هل تشاركيننا في رحلة جمع ثمار شجر السدر.

ففرحت عوشانة، وهتفت بصوت ناعم وعيون تفيض أملاً: نعم نعم؛ فأنا أحب ثمار النبق التي تحملها شجرة السدر.

أخذت الرفيقات يحدّقن بعوشانة وهي تسير أمامهن، فهمست إحداهن: انظرن إلى عوشانة، إنها تلبس ثوباً من الصوف، ورائحة النعاج الكريهة تفوح من ثوبها. فردّت رفيقة أخرى بصوت خافت: تبقى بنتاً من بنات قبيلتنا؛ لا بأس إن رافقتنا.

سارت الفتيات في المراعي يبحثن عن شجرة السدر؛ حتى لاحت لهن شجرة سدر صغيرة، فهتفن لها بصوت واحد: يا شجرة السدر! هل فيك نبق؟

فردت شجرة السدر: أنا ما زلت صغيرة، ستجدن النبق عند أخواتي هناك. واصلت الفتيات المسير والبحث عن شجرة مثمرة، فاقتربن من شجرة سدر

متوسطة الحجم، وكررن نفس السؤال: يا شجرة السدر! هل فيك نبق؟ فردت الشجرة: لا، ستجدن النبق عند أختي الكبرى التي تسمى سدرة الخير.

أكملت الفتيات المسير وقد طال الدرب؛ فهتفت إحداهن: لقد ابتعدنا عن المكان، وأخشى أن يهاجمنا ذئب جائع.

فردّت عوشانة بصوت واثق: ما زلنا في النهار، والذئب لا يحب الأنوار. فهيا نكمل المسير؛ فإخوتي يترقبون عودتي مع ثمار لذيذة.

وما هي إلا لحظات حتى لاحت لهن شجرة السدر الكبرى، فقفزن فرحاً، وهتفن: يا شجرة السدر! هل لديك نبق؟

فتبسمت سدرة الخير، وقالت: نعم لديّ الخير الوفير، ولكن لا بد أن تصعد إحداكن إلى الأعلى، وتهزّ الغصن؛ لتتساقط ثماري الكروية اللذيذة.

فتبادلت الفتيات النظرات، ثم وجّهن نظرهن إلى عباءة عوشانة، وقلن: نخشى أن

تتمزق عباءتنا المصنوعة من الحرير. ما رأيك يا عوشانة أن تصعدي؛ فعباءتك
سميكة وغليلة ومصنوعة من الصوف؟ وكررن الطلب: ما رأيك أن تصعدي يا
عوشانة؟

ردت عوشانة بثقة: نعم، أستطيع الصعود، ولكن لا تنسَيْن أن تجمعن لي بعضًا
من الثمار.

وبسرعة البرق تسلقت عوشانة إلى أعلى شجرة السدر، وأخذت تهزُّ الأغصان؛
فتناثرت حبات النبق الصغيرة والكبيرة، وأخذت الرفيقات يجمعن أجودها،
ويملأن سِلَالَهُنَّ متناسيات سلة عوشانة المسكينة.

فصاحت عوشانة بصوت رنان: لا تنسَيْن سلتي!

فابتسمت البنات ابتسامة مأكرة، واتفقن على خداع عوشانة والسخرية منها؛
فسارعن إلى وضع الرمال والحصى في سلتها، ونثرن بعض حبات النبق في
أعلى السلة. مالت الشمس إلى الغروب، ودَوَّى صوت عواء الذئب من بعيد،
فهتفت إحداهن: هيا نسرع بالعودة! هيا يا عوشانة انزلي!

نزلت عوشانة من أعلى الشجرة، وحملت سلتها الثقيلة، وانضمت إلى البنات،
وبينما هُنَّ يتراكن عوشانة؛ فسقطت، وسقطت من يدها سلتها،
فتبعثر ما بداخلها. فاندeshت عوشانة حينما علمت أن سلتها كانت مليئة بالرمال
والحصى، ووقفت مذهولة، بينما انفجرت رفيقاتها بالضحك.

فهتفت عوشانة عابسة: لماذا فعلتَن ذلك؟ لا بد أن أعود إلى الشجرة، وأجمع
ثمار النبق لإخوتي.

فتعالى صياح رفيقاتها، وهتفن: لا، لا، لا يمكن الرجوع؛ سيأكلنا الذئب.

فرجعت عوشانة وحيدة إلى سدرة الخير، وصعدت إلى الأعلى، وأخذت تهز
الأغصان لتتساقط حبات النبق، وأخذت تحدّث نفسها: الحمد لله، سأجمع ثمار

النبق اللذيذة ليشبع منها إخوتي.

وفجأة اقترب الذئب من الشجرة، وعلا صوته بالعواء: انزلي أيتها الفتاة، فأنا جائع جدًا.

شعرت عوشانة بالخوف، وأخذت تفكر كيف لها أن تنجو من الذئب، فقالت: وجدتها! إذا شبع الذئب فلن يأكلني.

فأخذت عوشانة تهز الأغصان بقوة، لتتساقط حبات النبق، وأخذ الذئب يلتقط الثمار بفمه الكبير، ويلتهمها بنهم. فصاحت عوشانة: يا عمي الذئب! هل شبعت واكتفيت؟

فصاح الذئب بمكر وهو يهز ذيله: شبعْتُ، واكتفيتُ؛ انزلي وعليك الأمان. وما إن أخذت عوشانة تجمع ما تبقى من الثمار وتهتمُّ بالمغادرة قبل حلول الظلام حتى عوى الذئب بصوت عالٍ: أشعر بالبرد؛ اجمعي لي الحطب.

وأخذ يحفر حفرة، ويضع فيها الحطب، ثم أشعل نارًا. فشعرت عوشانة بالخوف، ولمحت في نظرات الذئب الطمع والجشع، فأيقنت أنه ينوي أكلها؛ فأخذت تفكر وتفكر حتى اهتدت إلى حيلة ذكية. تظاهرت بجمع الحطب، وخبأت تحت عباءتها غصنًا ذا أشواك، واقتربت من الذئب، فعوى الذئب مظهرًا أنيابه الحادة: سأطبخ لحمك، وأشويك، وأجعل منك وجبة عشاء هنيئة.

فأخرجت عوشانة الغصن المليء بالأشواك بسرعة، وضربت به الذئب، فأخذ يتلوى من الألم، وحينها دفعته عوشانة بقوة، فسقط في أعماق الحفرة، وهلك. فنظرت إليها سدرة الخير، وقالت: أحسنتِ صنعًا يا عوشانة الشجاعة! لقد خلّصتِ الصحراء من الذئب الشرير؛ سأقدم لك مكافأة قيّمة على شجاعتك، احفري يمينًا بالقرب مني، وستجدين صندوقًا من الذهب الخالص.

أخذت عوشانة تحفر قرب الشجرة، فعثرت على صندوق الذهب، فضمته بين

ذراعَها، وشكرت سدرۃ الخیر علی هدیّتها الرّائعة، وعادت إلی خیمتها بسرعة وهي تطیر فرحًا. وعندما وصلت، أخذت تقص علی أسرتها ما حدث لها، ففرحوا بعودتها سالمة غانمة، ثم اشتروا بالذهب أرضًا خصبة، وزرعوها بالأشجار المثمرة، ثم وزعوا جُلّ ثمارها علی الفقراء والمحتاجین، وعاشوا فی سعادة وهناء.

الحكاية الثالثة عشرة: سيف الأمير⁽¹⁾

ملخص الحكاية:

سافر أمير أحد البلدان خارج البلاد في إحدى غزواته، وطالت فترة غيابه؛ فاشتاق إلى بلاده وشعبه، واشتاق أكثر إلى ابنه الوحيد، وكان لا بدَّ أن يُحضِر لابنه هدية حين عودته، فاشترى له سيفًا ثمينًا ليحُثّه على الفروسية والشجاعة، وليكون في المستقبل فارسًا مغوارًا مثله. جاء المبشر بعودة الأمير، فخرج الجميع لاستقباله على الطريق، وكانت من ضمن المستقبلين خادمته، وتدعى "زغفور"، فأعطاه الأمير السيف، وقال لها: خذي هذا السيف وقدميه لأحسن ولد في البلاد. ثم شُغل الأمير بالسلام على قومه واستقبالهم، ولكنه تنبّه إلى أن ابنه لا يرتدي السيف؛ فنادى زغفور وسألها عن السيف، فقالت له: قدمته لولدي الحبيب. فاستنكر الأمير فعلتها، وقال لها بغضب: كيف يكون ذلك؟ ألم أقل لك بأن تقدميه لولدي الشجاع؟ فردّت الخادمة بثقة: لقد قلت لي أن أقدمه لأحسن ولد في البلاد؛ وأنا أمُّ لا أرى ولدًا أحسن من ولدي. فتبسّم الأمير وهو يتمتم: حقًا "سعيد في عين أمه زين".

(1) خرايف حكايات من التراث تجتمع فيها المتعة والحكمة، ذكريات ترويحها صبيحة محمد جابر الخيلي، حوار وإعداد: فاطمة النزوري، تحرير: يحيى الغلابي، دار مداد، ط1، 2019، ص159.

الحكاية الرابعة عشرة: حكاية الفأر المغار⁽¹⁾

ملخص الحكاية

فأر مغارّ تعوّد على الخداع لاستغلال الآخرين، فكان يبتكر حيلةً تلو الحيلة، ثم يسير فَرِحًا كلما جنى بالمكر مغنمًا أو مكسبًا. فهل سينجح هذا المكار بجيله دائماً، أم سيقع في شر أعماله وينال الجزاء العادل الذي يستحقه؟ يُحكى أن فأراً حاول الصعود على شجرة، وفي أثناء تنقُّله بين أغصانها وخزته شوكة في قدمه، فنزل يتألم، فرأته امرأة كانت تخبز الخبز في التَّنُّور، فأشفقت عليه، وأخرجت الشوكة من قدمه، ورمتها في النار، فصاح الفأر بها: أين شوكتي؟ فردت عليه: في النار.

فثار وصاح: إما أن ترجعي إليّ شوكتي أو تعطيني الخبز! فدُهْشَت المرأة، وقالت مستنكرة: لا يُعْقَل أن أعيد إليك الشوكة بعد أن احترقت في النار.

فأصر الفأر على طلبه، وزاد من عويله؛ فدفعت المرأة الخبز إليه مُجْبِرَةً. فرح الفأر بالخبز، ومضى في طريقه، فرأى امرأة جالسة مع أبنائها، وأمامهم بُرْمَةٌ فَخَّارِيَّةٌ فارغة، فوضع الخبز في البرمة، فسارعت المرأة لإطعام أبنائها من الخبز، وما إن انتهوا من أكله حتى صاح الفأر: أريد خبزي. فردّت عليه الأم: أكله أبنائي.

فصاح بصوت عالٍ: إما أن ترجعي إليّ خبزي، أو تعطيني البرمة. دُهْشَت المرأة من طلبه، وردّت عليه: لا يصح ذلك.

لكنه أصرَّ على طلبه؛ فأعطته البرمة على مَصْض. فأخذ الفأر البرمة، ومضى فرحًا. وفي طريقه صادف امرأة تحلب بقرتها، وتضع اللبن في بُرْمَةٍ قديمة

مُشَقَّقة، فأعطاهَا برمته الفخارية، فَسُرَّتِ المرأة، وأكملت حلب بقرتها، وأخذت تضع اللبن في البرمة الفخارية. وفجأة حركت البقرة رجلها، فدفعت برمة الفأر، فانكسرت.

وهنا صاح الفأر: أريد برمتي.

فردت المرأة: كما ترى، لقد انكسرت.

فصاح الفأر بأعلى صوته: هذا ليس من شأني، أعيدي إليّ برمتي، أو أعطيني البقرة عَوْضًا عنها.

استغربت المرأة من طلبه، وقالت مستنكرة: بقرة بِرْمَة؟! لا يصح ذلك، ولا يقبله العقل.

ولكن مع إصرار الفأر، اضطرت المرأة إلى إعطائه البقرة؛ فأخذها الفأر، ومضى في طريقه سعيدًا مزهوًا بنفسه. وفي أثناء سيره، صادف جمعًا من الناس يقيمون حفل زفاف، وشاهد أهل العروس يذبّحون الكلاب لِيطْعِمُوا الضيوف، فقدم لهم البقرة، فسارعوا إلى ذبحها، وطبخ لحمها، فصاح الفأر: أريد بقرتي! فردوا عليه: كما ترى ذبحناها، وأطعمناها للضيوف.

فقال لهم: إما أن تُعيدوا بقرتي، أو تعطوني العروس عوضًا عنها.

فَذْهِشَ الجميع، واستنكروا قوله؛ لكن العروس أعلنت موافقتها على طلبه، وأضمرت غضبها في نفسها. فكاد الفأر يطير من شدة الفرح والسرور، وراح يتمشى مزهوًا بذكائه؛ فقد استطاع بعد كل هذا المكر أن يكسب عروسًا حسنة، ولم يتكلف في الأساس أكثر من شوكة. ولكن حينما زُقَّتِ العروس إليه، فجَّرت غضبها في وجهه، وسارعت إلى قطع ذيله لتأديبه، وتلقينه درسًا لا يُنسى. فأصبح الفأر مقطوع الذيل، وكلما سئل عن ذيله تذكَّر عاقبة المكر؛ فلم يَعد يتجرأ على تكراره مرة أخرى.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- المسلم، عبد العزيز، دجاجة ميثانة، كلمات للنشر والتوزيع، الشارقة، 2011.
- كنا كنا، كلمات للنشر والتوزيع، الشارقة، 2013.
- بديحة؛ حكايات من التراث الإماراتي.
- الحميدي، منيرة عبد الله، بديحة - بنت الشبيك-؛ حكايات شعبية من المنطقة الشرقية، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي، 2014.
- ثاني، أحمد راشد، إجمال حمدان بارك في الظلة؛ 24 حكاية من التراث السرد الشفاهي في الإمارات، دائرة الثقافة والسياحة - دار الكتب، 2018.
- الخيلي، صبرة، خرايف؛ حكايات من التراث، مداد للنشر والتوزيع، 2019.
- المزروعى، راشد أحمد، موسوعة الأمثال والأقوال الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، 2016 .
- الزعابي، عائشة، عوشانة والذئب؛ حكاية من التراث الشعبي، الطبع للنشر، 2021.
- مجيريفة، خيريفة؛ حكايات مستوحاة من التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث.

المراجع العربية:

- إبراهيم، محمد عباس، الثقافة الشعبىة الثابت والمتغير، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009 .
- بركات، فاتن سليم، "مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سورية"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد 3، 2010.
- بلحاج، كاملي، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004.

- بوتشيش، ابراهيم القادري، "النكتة كمصدر للكتابة التاريخية"، مؤتمر المؤرخ العربي: حوار أجرته معه أنفاس بريس، الدوحة، الخميس 11 مايو 2011.
- بيومي، محمد أحمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.
- توفيق، يوسف، "دراسة لرمزية الحكاية في ضوء التحليل النفسي والأنثروبولوجيا وتاريخ الأديان"، مجلة الثقافة الشعبية - فصلية علمية متخصصة -، البحرين، العدد 25.
- الجلاذ، ماجد زكي، تعلم القيم وتعليمها؛ تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة، العراق، 2005.
- الجويلي، محمد، أنثروبولوجيا الحكاية؛ دراسة أنثروبولوجية في الحكايات الشعبية التونسية، مطبعة قرطاج، تونس، ط1، 2003.
- كمال الدين، حسين، فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية للنشر، 1999.
- حياك، آمنة، القيم في قصص الأطفال الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 1990.
- زاهر، ضياء، القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج، القاهرة، 1984.
- الرايح، ستيبا، "أثر القصة الواردة في كتاب "العربية بين يديك" في تنمية القيم التربوية (الكتاب الرابع نموذجاً)"، معهد اللغويات العربية، جامعة الملك سعود، 2001.
- سعيدي، محمد، من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية، مطبوعات مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1995.
- صالح، كامل فرحان، "فاعلية الأدب الشعبي وحركيته، في إشكالية المناهج وثرء

- الخصائص مع نماذج مختارة" مجلة الثقافة الشعبية - فصلية علمية متخصصة-،
البحرين، العدد 41، 2018، تاريخ الدخول الى الموقع 12/7/2021.
- الصمدي، خالد ، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، إيسيسكو: منشورات
المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2003.
- محمد عبد العزيز، ولاء، محمد بيومي السيد، تغريد، "القيم التربوية في بعض
القصص الأردنية لمرحلة رياض الأطفال"، رسالة المشرق مركز الدراسات الشرقية،
جامعة القاهرة، المجلد 32، 2017.
- أبو فنة، محمود، "القيم في قصص الطفل المحلي"، مجلة رؤى للدراسات الأدبية،
فلسطين، 2004.
- قنديل، فؤاد، فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2002.
- الكعبي، ضياء عبد الله، "الحكاية الشعبية في منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج
العربي؛ دراسة في الأنساق الثقافية والتأويل لأربع مجموعات حكاية شعبية"، مجلة
الثقافة الشعبية - فصلية علمية متخصصة-، البحرين، العدد 13، 2011.
- أحمد، كنعان، أدب الطفل والقيم التربوية، 1995.
- المانع، مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة،
دار الفضيحة، الرياض، ط1، 2005.
- حمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، الأنصاري، الرويفعي، جمال الدين ابن منظور،
الإفريقي ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.
- الهيتي، هادي نعمان، أدب الأطفال؛ فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية
العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1977.
- سيمون، سميث شارلت، موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات
الأثروبولوجية، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

- بيومي، محمد أحمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983.

- الجويلي، محمد، أنثروبولوجيا الحكاية: دراسة أنثروبولوجية في الحكايات الشعبية التونسية، مطبعة قرطاج، تونس، ط1، 2003.

- الوهايب، منصف، "في أدب الحيوان"، مجلة ينبع التراث، كلية الآداب، تونس، 1999.

- دياب، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1980.
- طعيمة، رشدي أحمد، تحليل المحتوى في العلوم السلوكية؛ مفهومه، أسسه، واستخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.

الموسوعات العلمية والمعاجم:

- شنان، فريدة، هجرسي، مصطفى، المعجم التربوي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2009.

- زيدان، محمد مصطفى، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق، المملكة العربية السعودية، ط1، 1979.

- هولتكرانس، إيكة، الجوهري، محمد، الشامى، حسن، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، دار المعارف، ط2، 1973.

- الخليل، سمير، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، 2016.

المراجع باللغات الأجنبية:

- Abderrahmane MOUSSAOUI, 2002, "Espace et sacré au Sahara". CNRS EDITIONS, p 269.
- Christopher Lasch, 1979, "The Culture of Narcissism: American Life in an Age of Diminishing Expectations". New York, Norton.
- Mircea ELIADE, 1987, "Le sacré et le profane", réédition, coll. Folio Essais, éditions Gallimard, Paris.

الفرہرہ

الفهرس

الصفحة	العنوان
8	مقدمة المركز
11	المقدمة
	الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة:
15	القيم في الحكاية الشعبية: مفاهيم وأبعاد
17	1- التمهيد
23	2- مفهوم الحكاية الشعبية الموجهة للطفل
44	3- مفهوم القيم التربوية والأخلاقية وصلتها بالحكاية الشعبية
	الفصل الثاني: (الجانب التطبيقي)
65	القيم التربوية والأخلاقية في الحكاية الشعبية الإماراتية
67	1- القيم الإنسانية والأخلاقية في الحكاية الشعبية الإماراتية
76	أ- الصدق ونقيضه
83	ب- المحبة ونقيضها
	2- قيم الخير في الحكاية الشعبية الإماراتية
91	3- القيم التربوية الوسيطة في الحكايات
	(القيم الجمالية، والوقائية، والتوجيهية)
93	أ- حب الطبيعة والحفاظ على البيئة وعناصرها
	ب- حفظ المال، والعرض، والبدن
94	ج- قيم الاحترام، والتقدير، وحسن التعامل
96	د- القيم المستمدة من العرف

الصفحة	العنوان
100	4-الاستنتاجات والتوصيات.....
107	الخاتمة.....
111	الملاحق.....
158	المصادر والمراجع.....
163	الفهرس.....

